دولة قطر
وزارة التربية والتعليم

تفسير القرآن الكريم

للصف الأول الثانوي العام

تأليف

إبراهيم حسن حرام　　عبد المحسن موسى

عبد الحليم زيدان

مراجعة

عبد المعز عبد الستار

إشراف

عبد الله إبراهيم الأنصاري　　علي شحاتة زرد

المشرف العام
كمال ناجي

مكتبة الشيخ عبد الله الأنصاري العامة
رقم التصنيف :
الرقم المحلي : ٦٩٦
الرقم الآلي : .....
جهة الورود : .....

دولة قطر

وزارة التربية والتعليم

تفسير القرآن الكريم

للصف الأول الثانوي العام

تأليف

إبراهيم حسن عزام — المدرس بمدرسة الصناعة الثانوية

عبد المحسن موسى — المدرس بالمعهد الديني الثانوي

عبد الحليم زيدان — المدرس بمدرسة الدوحة الثانوية

مراجعة

عبد العزيز عبد الستار

مفتش العلوم الشرعية

إشراف

عبد الله إبراهيم الأنصاري — مدير الشؤون الدينية

علي شتا رزق — مدير ادارة التربية الاجتماعية

المشرف العام

كمال ناجي

مدير وزارة التربية والتعليم ورئيس لجان التأليف

حقوق الطبع محفوظة لوزارة التربية والتعليم
الطبعة الاولى
١٣٩١ هـ. — ١٩٧١ م.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبيّه الأمين ، محمد ابن عبدالله ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ، فيسرني أن أقدم الدفعة الأخيرة من كتبنا المدرسية ، وقوامها أربعون كتابا ، هي ناظمة العقد ، فبها نكون قد استكملنا تأليف جميع الكتب المدرسية القطرية لجميع المراحل التعليمية بتخصصاتها المختلفة وعددها ٢٣٠ كتاباً ، واستكملنا طباعتها .

لقد وضعنا نصب اعيننا منذ بداية الشوط ، تحقيق أهداف التعليم في قطر ، المستقاة من أهداف التعليم في الوحدة الثقافية العربية ، مدركين أهمية الكتاب المدرسي كوعاء للفكر ، وقالب للرأي ، ومعين للثقافة ، وموجه للاعتقاد والسلوك ، لذا حرصنا أن تصدر كتبنا عن موارد ثلاثة :

١ ـ المثل العربية الاسلامية الأصيلة :

فقد حرصنا على تشريب التلميذ بوساطة هذه الكتب ، مُثُلَ الإسلام العظيم ومبادئه ، وهدي القرآن الكريم وأحكامه ، وتوجيه الرسول الرحيم وسنته ، والسيرة العطرة لأبطال هذه الأمة العربية الأفذاذ الذين أتاحوا لها حريّة التربع على ذروة المجد وقمة السؤدد ، وصاغوا العزة والمنعة والشرف تاجاً لمفرقها على مدى العصور .

وذلك ليشب الجيل متأسياً بهذه السيرة وتلك المثل ، فيترعرع ثابت الإيمان ، طاهر الوجدان ، مصقول النفوس ، مشحوذ العزائم ، متكاتفاً ، متناصراً متحاباً ، تخفق في ضميره راية الحق ، وتسطع في أعماق نفسه

شمس الحرية ، وتظلل وجدانه دوحة العدالة ، فيكون حرياً بحمل رسالة أمته الخالدة إلى العالم أجمع .

٢ ـ متطلبات العصر الحاضر :

فنحن نعيش اليوم عصر الذرة وغزو الفضاء ، العصر الذي يحاول فيه الإنسان،استخدام قوى الطبيعة،وتسخيرها والسيطرة عليها ، واستثمارها إلى أقصى الحدود الممكنة ، لصالحة ولصالح المجتمع الذي يعيش فيه، وسعادته ورفاهه في الحياة ، وعليه فان الأمم الناهضة تحتاج العقول المصقولة المتفتحة ، والبصائر النافذة التي تغذيها المعرفة الصادقة ، ويدعمها العلم الصحيح والتجربة الحقة ، وتنميها الخبرة العلمية .

لذلك حرصنا على الاتجاه العلمي في البحث لدى تأليف هذه الكتب ، وأولينا العلوم كل عناية ، لنقف ابناءنا على الحقائق العلمية المتصلة بكل مقومات الحياة ، ونشحن عقولهم بالعلم الذي يمكنهم من حل مشكلاتها ، ومواجهة تحدياتها .

٣ ـ ضرورة تكامل الثقافة :

ذلك لأن المراحل التعليمية لدينا دون مراحل التخصص العليا ، لذا وجب أن يعطى الطالب ثقافة شمولية متكاملة ، فحرصنا أن تكون موضوعات كتبنا في مختلف المواد،مما يربي شخصية الطالب الاستقلالية ، وينمي تفكيره السليم ، ويثرى معرفته الأصيلة ، ويوسع مداركه ، لينطلق الواحد منهم في مجالات الحياة حرّ الرأي ، ثاقب النظر ، ذا عقل نشط مبدع ، ويد قادرة بناءة ، وقلب متفتح للخير ، ولسان طلق بالحق ، فيختط سبيله في الحياة على هدى وبصيرة،بعزم ومضاء،وثبات .

وإن كان ثمة من فضل في إخراج كتبنا المدرسية بهذا المستوى المشرّف، فهو لله العلي القدير أولا ، ثم لهذه النخبة الممتازة من المفتشين والاساتذة ـ مؤلفين ومراجعين ومشرفين ـ التي بذلت من ذاتها ، وأرقت ليلها واجهدت نهارها ، مستمرئة السهر الطويل ، مستعذبة البحث المضني ، وباذلة قصارى جهدها،في إخراج هذه الكتب بمستوى مشرف .

ولايفوتنى ان اسجل بكل تقدير واعزاز ما لقيته هـذه الوزارة ورجالها ، من تشجيع دائم ومساندة فعالة من عظمـة حاكم البلاد المفـدى ، وسمو نائب الحاكـم ورئيس مجلس الوزراء ، وسمو وزير التربية والتعليم الجليل ، الذى رسـم وخطط وتابع تنفيذ هذا العمل الضخم ، مما كان لـة أطيب الأثر في شحذ الهمم ، وبذل مزيد من الجهد .

كما لا يفوتني أن أتقدم بأعمق الشكر، لرجال التربية، ورواد الثقافة في البلاد العربية والإسلامية ، الذين أولوا دراسة كتبنا عناية خاصة؛ فكان لتقديرهم الطيب وثنائهم العطر ، واقتراحاتهم البناءة أطيب الأثر في نفوسنا .

كما أتقدم ببالغ الشكر وعظيم الثناء للحكومات ، ومديريات التربية والتعليم ، والمؤسسات الأهلية التي تبنت كتبنا وقامت بتدريسها في مدارسها .

والله سبحانه وتعالى المسؤول أن ينفع بهذا الجهد ويفيد به ، وأن يكافئ العاملين المخلصين بما هم له أهل ، وأن يوفقنا لخير العمل المثمر البناء .

كمال ناجي

مدير وزارة التربية والتعليم
ورئيس لجان التأليف

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة الله للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد، فإن القرآن الكريم هو السر الذي أودعه الله في حياة البشر، والروح الذي أوحاه إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، ليحيي به القلوب، وينور به العقول، ويجمع به الشتات ، ويهدي به الخلق إلى الحق وإلى صراط مستقيم ، وصدق الله العظيم: « **وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** » .

وقد تمسك به المسلمون في كل عهودهم ، يحفظونه ويدرسونه ويتدبرونه ويطبقونه في حياتهم الخاصة والعامة فدانت لهم الدنيا وظفروا بالعزة والسيادة وأقاموا بهذا القرآن — حضارة إسلامية زاهرة ، فلما خلفت خلوف هجرت كتاب ربها وأقصته من حياتها فَقَدَ المسلمون شخصيتهم، وأصابهم ما أصابهم مما يعانون اليوم من ذل وهوان .

ولن يعود للمسلمين مجدهم وعزهم إلا بالعودة إلى هذا الكتاب الكريم: يقبسون من نوره، ويهتدون بهديه. ومن أجل ذلك كان حرص وزارة التربية والتعليم بقطر في نهضتها على مد ضياء القرآن وهدايته وغرس مبادئه واحكامه في نفوس ناشئتها؛ حتى يشبوا على أخلاق القرآن ويكونوا صورة حية لما كان عليه سلفهم الصالح

وقد عهدت إلينا الوزارة بتأليف كتاب في التفسير للصف الأول الثانوي فقمنا بذلك وراعينا فيه :

١ ــ أن يكون سهل العبارة قريب المعنى .

٢ ــ بيان أهم المقاصد التي تناولتها الآية أو الآيات قبل الشرح؛ لتتركز في ذهن الطالب في كلمات وعناصر ثم تناولنا كل عنصر بالشرح والايضاح .

٣ ــ تنوع موضوعات الآيات الكريمة المختارة بحيث تشتمل على العقائد والاحكام والأخلاق وآداب السلوك .

٤ ــ توضيح المُثُل والاهداف التي ترمي اليها الآيات الكريمة .

٥ ــ ربط آيات القرآن الكريم بالواقع ، وبيان ما فيها من حلول لمشكلاتنا وعلاج لامراضنا .

٦ ــ اجتناب الصياغة النحوية إلا ما دعت اليه الحاجة لبيان غامض وتوضيح مبهم .

٧ ــ تسجيل مناقشة في آخر كل درس لتعين الطالب على فهم جوانب الموضوع وتثبيت معانيه .

هذا ونرجو ان نكون قد وفقنا لبيان شيء من عظمة القرآن وجمال الإسلام حتى يشب أبناؤنا على التمسك بالقرآن والاعتزاز به والغيرة عليه ، والله الموفق .

المــؤلفــون

١ - من سورة البقرة «١»

هـــدى للمتقين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ
بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ
هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ
عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ
عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

معاني المفردات

الكلمة	معناها
الٓمٓ	الف ، لام ، ميم : حروف ننطق بأسمائها ، بدئت بها السورة إثارة للانتباه وإمعاناً في التحدي
الكتاب	أي الكتاب الكامل . فأل فيه دالة على الكمال كما تقول ذلك الرجل : أي الكامل والمرادالقرآن.
لا ريب فيه	لا شك فيه .
هدى للمتقين	هداية للذين يحذرون الآخرة ويتقون عذاب الله فيجعلون أعمالهم الصالحة وقاية لهم من عذابه .
يؤمنون بالغيب	يصدقون — قولا واعتقاداً وعملا — بما لم تدركه حواسهم مما أخبر به الرسول الكريم
ويقيمون الصلاة	يؤدونها في أوقاتها مستكملة لمقوماتها وخشوعها من شروط وأركان وواجبات وسنن وآداب
ومما رزقناهم ينفقون	على أنفسهم ويبذلون ويتصدقون على غيرهم
بما أنزل إليك	بالقرآن .
وما أنزل من قبلك	وبالكتب التي نزلت علي من قبلك من الأنبياء كالتوراة والإنجيل .
وبالآخرة	وبالدار الآخرة وما فيها من بعث وحساب وجنة ونار .
يوقنون	يعتقدون اعتقاداً جازماً لا شك فيه ولا تردد
على هدى من ربهم	على نور وبصيرة من الله واستقامة على أمره .
المفلحون	الناجون من العذاب . الفائزون بالسعادة في الدنيا والآخرة .
إن الذين كفروا	الكفر : ستر الشيء ، والمعنى : ستروا الحق وجحدوه ولم يؤمنوا به .

سواء عليهم أأنذرتهم	الانذار : الاعلام مع التخويف ، والمعنى : إنذارك وعدمه سواء عندهم .
ختم الله على قلوبهم	لأنها أغلقت عن إدراك الحق لما جبلت عليه من العناد والمكابرة .
على أبصارهم غشاوة	عليها غطاء من الغفلة والجحود يحجبهم عن إبصار الحق .
عذاب عظيم	ألم شديد يشعرون بعظمه .

تعريف بالسورة :

هذه الآيات مفتتح سورة البقرة ، وهي أطول سورة في القرآن الكريم حتى سميت بسنام القرآن وفسطاطه ، وهي من أوائل ما نزل من السور بالمدينة ، وقد اشتملت على الكثير من الاحكام وتصوير حال الدعوة الإسلامية في مهدها بالمدينة وتآمر اليهود عليها مع المنافقين تارة ومع المشركين تارة أخرى ، وتبصير الجماعة المسلمة وتحذيرها من العثرات التي كانت سبباً في تجريد بني اسرائيل من حمل أمانة الدعوة إلى الله والخلافة في الأرض ، كنقضهم الميثاق وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق.

روى مسلم عن أبي أمامة الباهلي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : اقرؤوا القرآن فانه يأتي يوم القيامة شفيعاً لاصحابه ، اقرؤوا الزهراوين (١) البقرة وآل عمران ، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان — أوغيابتان(٢) — أو فِرْقان(٣)

---

(١) المنيرتين
(٢) تثنيه غيابة ، وهى ماأظلك من فوقك
(٣) تثنية فرق وهى القطعة من الشيء

من طير صواف (١) تحاجان عن اصحابهما . اقرؤوا البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ، ولا تستطيعها البطلة (٢) .

مقاصد الآيات

وقد تضمنت الآيات اموراً ومقاصد أهمها ما يأتي :

أولا : التنبيه والتنويه بشأن القرآن العظيم والإمعان في التحدي به .

ثانياً : تقرير أنه كتاب الإنسانية الكامل الذي فيه عصمتها وسعادتها من غير شك.

ثالثاً : تقرير أنه لا ينتفع بالقرآن إلا من توفرت فيه شروط خاصة هي خصال المتقين .

رابعاً : بيان صفات المتقين الذين ينتفعون بالقرآن — وأولها الإيمان — وبيان عاقبة أمرهم .

خامساً : بيان صفات الكافرين الذين لا ينتفعون بالقرآن — وأولها طمس البصيرة — وبيان عاقبة أمرهم .

الشرح

أولا : التنبيه والتنويه والتحدي في قوله تعالى (**الٓمٓ ، ذَٰلِكَ الْكِتَابُ**) .

بدأ الله عز وجل هذه السورةوأمثالها باسماء هذه الحروف (ألم) ألف . لام . ميم . والحكمة في ذلك يمكن أن تظهر في أمرين :

---

(١)مصطفة متضامة

(٢) السحرة

١ ــ إثارة الانتباه والشوق لما يتلى بعدها من آيات الله والحكمة؛ حتى ينتبهوا إليه وينصتوا ، فقد كان الكفار أول الأمر في مكة يتواصون بالتهويش والتشويش عند سماعهم قراءة النبي صلى الله عليه وسلم له ، ودعوتهم اليه ، كما سجله سبحانه وتعالى عليهم في قوله تعالى : « **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ** » فبدأ سبحانه الحديث عن الكتاب وهدايته ، ومن يهتدي به ومن لا يهتدي ، بهذه الأحرف التي ننطق بأسمائها ليكون أول ما يقرع الأسماء مستقلا بشيء من الغرابة (١) تقتضي الانتباه والإنصات .

٢ ــ الإمعان في التحدي بهذا الكتاب الفريد فكأنه يقول لهم ، إن هذا الكتاب الذي عجزتم عن الإتيان بمثله أو بمثل سورة منه ، مؤلف من عين ما تنظمون منه كلامكم : من هذه الحروف الأبجدية ، أي من ألف . لام . ميم . ومثلها (ن) . و (ص) و (طس) . ... الخ . فإذا عجزتم عن مضاهاته فاعلموا أنه تأثير الفارق بين قدرة المخلوق وقدرة الخالق ، فله أسلموا وبه آمنوا واتبعوه لعلكم تهتدون .

ثانياً : تقرير أنه كتاب الإنسانية الكامل .

القرآن الكريم كتاب خالد ، ودستور شامل لسعادة الدارين ، لا شك أنزله الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، يحمل بين جوانبه الهداية والنور والشفاء للإنسانية جميعاً .

نظم العلاقات بين الافراد والأمم والجماعات في النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها ، وجعل لكل انسان مكانه في الحياة من حقوقهـــا

---

(١) ووجه الغرابة أن النطق بالحرف عام فى الناس من قرأمنهم ومن لم يقرأ أما النطق بأسماء الحروف من الأمي فهو عجيب ومستغرب يسترعى الانتباه .

وواجباتها وفضائلها ، وبين ما يجب عليه نحو خالقه ونحو نفسه والناس جميعاً ، وصحح التصور للكون والحياة ، وقرر أن الناس سواء ، وأن السيادة لله وحده ، وأصّل الحرية والمساواة بكلمة (لا إله إلا الله) ، أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وأحلّ الطيبات وحرم الخبائث ، ووضع عن الناس إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، حفظ الدماء والأعراض والأموال ، وجعل الأمر شورى ، وحرم أن يكون المال دُولَةً بين الأغنياء ، وأنصف الرجال والنساء والفقراء والأغنياء والعمال وأصحاب العمل ، وقرر الأخوة الانسانية ، وحرم العصبية والطبقية وحمية الجاهلية ، وبكلمة واحدة : **أخرج الناس من الظلمات إلى النور .**

وصدق الله العظيم حيث يقول : « **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً وَأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ اعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً** » .

ثالثاً : لا ينتفع بالقرآن إلا أهل التقوى والإيمان .

ومع أن القرآن الكريم يحمل بين جوانبه الهداية والنور للإنسانية كلها ويصف الدواء الناجع لكل داء من أدوائها ، لا ينتفع بهديه إلا من تتوفر فيهم شروط خاصة هي صفات المتقين ؛ لأنهم هم الذين يؤمنون به ، فلا جرم يسترشدون بآياته ويتمسكون بآدابه ويقفون عند حدوده ، يحلون حلاله ويحرمون حرامه . أما غيرهم فمعرضون عن نوره وهدايته فلا يستفيدون منه شيئاً . وصدق الله العظيم حيث يقول :

« **قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ، وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى** » .

رابعاً : صفات المتقين :

ثم وصف عز وجل المتقين بأبرز صفاتهم وأخص سماتهم التي توهلهم للانتفاع بهذا الكتاب العزيز وهي خمس .

الصفة الأولى :

أنهم « **الَّذِينَ يُؤْمِنونَ بِالْغَيْبِ** » أي بكل ما غاب عنهم .

فهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وما فيه من حساب وثواب وعقاب وجنة ونار ، وكل ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم مما استأثر الله بعلمه ولم تدركه حواسهم ، فهذا غيب كله يجب الإيمان به .

وبالإيمان بالغيب يرتقي الانسان عن عالم الحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه . لكن جماعة الماديين في كل الأزمان — وفي زمننا هذا خاصة — يريدون أن يعودوا بالانسان إلى عالم البهائم الذي لا وجود فيه لغير المحسوس، ويسمون هذا تقدمية ، والإيمان بما وراء المادة رجعية وخرافة ، وهي نكسة خطيرة نلفت أنظار الشباب المسلم إليها ليتقوا خطرها ، وقد وقى الله المؤمنين شرها فجعل صفتهم الأولى المميزة أنهم (يؤمنون بالغيب) والحمد لله على نعمائه، والنكسة للماديين المنتكسين .

روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **أي الخَلْقِ أعجبُ إليكُمْ إيماناً ؟** قالوا : الملائكة، قال : « **وَمَا لَهُمْ لا يُؤْمِنونَ وَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ** » ؟ قالوا : فالنبيون ، قال : « **وَمَا لهم لا يؤمنون وَالوَحْيُ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ** » ؟ قالوا : فنحن، قال : « **وَمَا لَكُمْ لا تُؤْمِنُونَ وأنَا بَيْنَ أظْهُرِكُمْ** »؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **ألا إنَّ أعْجَبَ الخَلْقِ إليَّ إيماناً لَقَوْمٌ يَكُونُونَ مِنْ بَعْدِكُمْ يَجِدُونَ صُحُفاً فيها كِتَابٌ فَيُؤْمِنُونَ بما فيها** » .

الصفة الثانية :

(وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ) .

فهم يؤدونها في أوقاتها في خشوع ، تامة الأركان والواجبات والسنن والهيئات

لتتحقق الحكمة التي شرعت من أجلها، وهي تطهير القلب وتزكية النفس، وتقويم السلوك ، والنهي عن الفحشاء والمنكر ، ودوام الصلة بين العبد وربه .

الصفة الثالثة :

(وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) .

فهم ينفقون — عن طواعية واختيار طاعة لله وشكراً لأنعمه — مما أعطاهم من المال الحلال ومن العلم والجاه : ينفقون على النفس والأهل وذوي القربى والمحتاجين ابتغاء وجه الله والدار الآخرة لا رياء ولا منة .

وإنفاق المال على هذا الوجه يطهر النفس من الشح والبخل، ويحقق التكافل والتعاون بين الناس ، ويستل الضغائن والأحقاد من صدور الفقراء على الأغنياء، ويشيع المحبة والمودة والثقة بينهم جميعاً ، ويحوطهم بسياج مانع من المبادئ الهدامة .

والإنفاق في الآية يشمل الصدقة الواجبة كما يشمل الصدقة المندوبة وكل ما ينفق في وجوه البر ، كما أن قوله تعالى : **(وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ)** يشمل المال وغيره من أنواع الرزق كالعلم والجاه ..... الخ .

الصفة الرابعة :

(وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ) .

فهم يؤمنون بكل الكتب وجميع الرسل وكافة الأديان السماوية مصداقاً لقوله تعالى : « **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِن رُّسُلِهِ** » وهذا هو الإيمان الكامل؛ لأنه يجعل الناس جميعاً — على اختلاف أجناسهم وألوانهم — يشعرون بوحدة البشرية . ووحدة دينها ووحدة رسلها ، ووحدة معبودها ، والأخوة فيما بينها، ويطهرهم من التعصب الذميم ضد الديانات والمؤمنين بها ما داموا على الطريق الصحيح .

الصفة الخامسة :

(وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) .

(فهم يوقنون يقيناً جازماً باليوم الآخر وما فيه من جزاء عادل على ما قدمه الإنسان من خير أو شر، وبذلك يشعرون برقابة الله ، ومصيرهم إليه، وموقفهم غداً بين يديه، فيرق وجدانهم وتستيقظ قلوبهم ، ويستعلون على ضرورات الحياة الدنيا وتبقى قلوبهم متعلقة بما عند الله ، يرجون رحمته ، ويخافون عذابه .

إن الإيمان باليوم الآخر وما فيه من جزاء عادل هو صمام الأمن، والعلاجُ الوحيد ، إزاء المغريات والمعوقات والفتن التي تعرض للناس في الحياة .

وبعد أن بيّن الله صفات المتقين بين عاقبة أمرهم وجزاءهم فقال : « **أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** » .

أي أولئك المتقون المؤمنون المتصفون بهذه الصفات على نور من ربهم وبصيرة واستقامة على أمره في الدنيا وأولئك هم المفلحون الفائزون بالسعادة في الدارين .

خامساً :

بيان صفات الكافرين الذين لا يهتدون بالقرآن وبيان عاقبة أمرهم :

ثم ذكر الله عز وجل الكفار الذين فقدوا أهلية الاهتداء وشروط الانتفاع بالكتاب العزيز بأبرز صفاتهم مبيناً جزاءهم فقال .:

« **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ، خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ** » .

أي أنه قد بلغ من أمرهم في الغواية والضلال ، ألاّ يجدي فيهم الإنذار والتبشير وألا يؤثر فيهم الوعظ والتذكير ، فهم عن الصراط السوي ناكبون ، وعن الحق

معرضون ، فالإنذار وعدمه سيان عنـــدهم ، فماذا ينفع النور مهما سطع ، والضوء مهما ارتفع ، مع من أغمض عينه حتى لا يراه — بغضاً له وعداوة لمن دعا اليه — لأن الجهل قد أفسد عقله وقلبه ، فأصبح لا يميز بين النور والظلام ، ولا بين النافع والضار .

وقد جرت سنة الله في مثل هؤلاء — الذين دُعو إلى الله فآثروا الكفر على الإيمان وهداهم الله فاستحبوا العمى على الهدى — أن يختم على قلوبهم فلا يبقى فيها استعداد لغير الكفر ، مصداقاً لقوله تعالى (**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ**) وأن يختم أيضاً على أسماعهم فلا يسمعون إلا دعاء ونداء لا يتجاوز الآذان إلى القلوب فيؤثر فيها ، مصداقاً لقوله تعالى (**وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ**) وأن يجعل أيضاً على أعينهم غطاء فلا يبصرون الحق ولا يهتدون ، وصدق الله العظيم (**قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ**)

أما جزاؤهم فقد حكم الله عليهم بالخزي في الدنيا ، والعذاب العظيم في الآخرة .

المناقشة

١ — تضمنت الآيات أموراً ومقاصد خمسة فبينها ؟

٢ — تقرر الآيات أن القرآن الكريم كتاب الإنسانية الكامل ، فيه عصمتها وسعادتها ، بين ذلك ؟

٣ — تقسم الآيات الناس إلى فريقين ، فما هما ؟ وعلى أي أساس كان هذا التقسيم ؟

٤ — بينت الآيات المتقين بأبرز صفاتهم ، اذكر هذه الصفات ثم بين جزاءهم .

٥ — ما صفات الكافرين ؟ وما جزاؤهم ؟

٦ — بين معاني الكلمات الآتية :

يؤمنون بالغيب ، يوقنون ، ختم الله على قلوبهم ، غشاوة ، عذاب عظيم .

وَمِنَ ٱلنَّاسِ

مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾
يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾
أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ
ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾
وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ
قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ
بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ
ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟
مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾

المفردات

الكلمة	معنـــاها
وما هم بمؤمنين	ليسوا داخلين في عداد المؤمنين الصادقين .
يخادعون الله والذين آمنوا	يعملون عمل المخادع ، بإظهارهم الإيمان وإخفائهم الكفر . والخديعة : المكر والحيلة .
في قلوبهم مرض	في قلوبهم شك ونفاق . أو جحود ونكران .
لا تفسدوا في الارض	لا تثيروا الفتن بخداع المؤمنين وممالأة الكافرين
إنما نحن مصلحون	إنما نحن بعيدون عن شوائب الإفساد .
كما آمن الناس السفهاء	كما آمن غيركم من أصحاب الرسول(ﷺ) الجهلاء : ضعفاء الرأي خفاف العقل .
خلوا إلى شياطينهم	انفردوا برؤسائهم وبمن على شاكلتهم في النفاق
إنا معكم	إنا باقون معكم على الدين والعقيدة والنصرة والمعاضدة .
نحن مستهزؤون	نسخر بالمؤمنين بإظهار الإيمان خداعاً لهم .
ويمدهم في طغيانهم	يزيدهم أو يمهلهم في مجاوزتهم الحد وغلوهم في الكفر .
يعمهون	يعمون عن الرشد ، ويتمادون في الكفر ؛ ليزدادوا إثمـــاً .
اشتروا الضلالة بالهدى	اختاروا الكفر على الإيمان فاستبدلوا الخسيس بالنفيس .
فما ربحت تجارتهم	فما ربحوا في اشتراء الضلالة بالهدى ، بل باءت تجارتهم بالبوار والخسران .
وما كانوا مهتدين	وما عرفوا طريق الاهتداء إلى التجارة الرابحة وهي اختيار الإيمان على الكفر .

الشرح

تضمنت هـذه الآيات الكشف عن المنافقين ، وصفاتهـم ، وسماتهم وعاقبتهم في الدنيا والآخرة .

المنـافقون

كان الناس في أول الدعوة الإسلامية قبل الهجرة ، ينقسمون إلى قسمين – لا ثالث لهما – : مؤمن وكافر .

فلما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وترسخت أصول الدعوة ، وقامت نواة الدولة ، وانتصر المسلمون على المشركين يوم بدر . وأخذت تلوح في الأفق بشائر مستقبل زاهر ، وغد ظاهر ، ينتظر الإسلام والمسلمين . هنا ظهرت طائفة ثالثة أرادت أن تمسك العصا من الوسط ، أو أن تضع يداً في يد المسلمين وأخرى في يد الشياطين والكافرين . لم تخالط بشاشة الايمان قلوبها ، وانما استغرقها حب الدنيا ، والحرص على متاعها وأعراضها ، فأرادت أن تكون مع المؤمنين والكافرين معاً .

هذه الطائفة هي طائفـة المنافقين . أرادت أن تلعب على الحبلين ، وأن تجمع بين النقيضين ، فعاشت حياتها في قلق نفسي واضطراب ، وكيد للنبي (ﷺ) والمسلمين . جبنوا عن المجاهرة بالكفر وكتموه في أنفسهم ، وأعلنوا الإسلام بألسنتهم محافظة على مكانتهم وأموالهم ، ولأغراض دنيئة في نفوسهم ، كعبدالله بن أبي ومن على شاكلته من المنافقين . فهم مذبذبون بين المؤمنين والكافرين ، فمن ثَمَّ كانوا أخبث الكفار ، وأبغضهم إلى الله . ولذلك أنزلهم في النار شر منزل فقال : (**إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ**) وما ابتلي المسلمون في زمان أو مكان بشر من هذه الطائفة المذبذبة . تدبر المكائد ، وتروج الأكاذيب ، وتزعزع المؤمنين ، وتفسد روابط المحبين وتنفث سموم الشر والفتن .

وقد ساق الله هنا ثلاث عشرة آية تكشف حقيقتهم وخداعهم وكيدهم وتصور حالهم وسوء عاقبتهم .

وقد وصف فيها المنافقين بستة أوصاف من أبرز أوصافهم وإليك بيانها .

الصفة الأولى :

الكذب : وبينها بقوله تعالى :

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِاليَوْمِ الآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) فهم كاذبون في هذا القول وليسوا من الإيمان في شيء . إنما هم منافقون لا يجرؤون على الإنكار والتصريح بما في قلوبهم في مواجهة المؤمنين .

الصفة الثانية :

الخداع والمكر : وبينها بقوله تعالى :

(يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا ، وَمَا يَخْدَعُونَ إلا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) فهم مخادعون يظهرون الإيمان ويخفون الكفر — يظنون في أنفسهم الذكاء والدهاء والقدرة على خداع المؤمنين ، وحسبهم غباء وخيبة أنهم لا يخدعون إلا أنفسهم دون شعور . لأن الله بخداعهم عليم . وحسب المؤمنين شرفاً وحفظاً أن الله قد جعل خداع المنافقين لهم خداعاً له سبحانه ، فهو سيتولى بنفسه حفظهم من هذا الخداع اللئيم .

الصفة الثالثة :

(فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ) أي شك ونفاق . فقدوا بسببه صحة الإيمان وقوة المؤمن وثقته بربه وغده **(فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً)** ورجساً إلى رجسهم فالجزاء من جنس العمل **(وَلا يَزِيدُ الكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إلا مَقْتاً وَلا يَزِيدُ الكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إلا خَسَاراً)** .

الصفة الرابعة :

التبجح وادعاء الصلاح والإصلاح **(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ، أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لا يَشْعُرُونَ)** .

فهم أدعياء متبجحون حين يأمنون . وهذا شأن المفسدين في كل زمان ومكان يدعون أن إفسادهم في الأرض هو التقدم بعينه ، ولا يكتفون بنفي الإفساد عن أنفسهم بل يدعون أنهم مصلحون ، ولكن الله يدمغهم بهذه الحقيقة : **(أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ)** بخطورة الإفساد الذي يقومون به لأنه أصبح غريزة في طباعهم لفساد قلوبهم . وتغير فطرتهم .

الصفة الخامسة :

السفاهة والتعالي على عامة المؤمنين **(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ)** .

فهم إذا طلب منهم الإيمان الصحيح ، كإيمان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم — من المهاجرين والأنصار — تطاولوا عليهم ورموهم بالسفه ، من حيث إن المؤمنين المهاجرين آثروا الله ودينه ، ومن أجله عادوا قومهم وأقاربهم ، وهجروا أوطانهم وتركوا ديارهم ، واتبعوا محمداً صلى الله عليه وسلم ، وحيث إن الانصار آمنوا مثلهم ونصروا رسولهم ، وأحبوا من هاجر إليهم ، وشاركوهم أموالهم وديارهم وجاهدوا في سبيل الله والحق معهم . ولكن القرآن يدمغهم أيضاً بهذه الحقيقة : **(أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ)** وحدهم **(وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ)** أنهم السفهاء فهم قوم يجهلون ولا يعلمون الحق فهم ضالون .

الصفة السادسة :

الجبن وفقدان الشخصية (وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ، اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) .

فهم جبناء وأتباع . قد اتخذوا لأنفسهم وجهين يقابلون المؤمنون بوجه ، ويقابلون اليهود وأولياءهم الحانقين على الإسلام والمسلمين ، بوجه آخر. وهذا الخلو إلى شياطينهم واصفاء الودلهم والإسرار إليهم ، يكشف عن مدى الارتباط بين المنافقين واليهود في المدينة ، وتكاتفهم على وأد الدعوة الإسلامية في مهدها ، كما يكشف عن مدى ضعفهم ولؤمهم وتآمرهم في الظلام ، فهم يجبنون عن المواجهة الصريحة بكفرهم ، ويتظاهرون بالإيمان عند لقاء المؤمنين ؛ ليجدوا عونهم وينالوا عطفهم ، وليتخذوا هذا التظاهر وسيلة لإلحاق الأذى بالمسلمين . وإذا خلوا إلى شياطينهم من اليهود قالوا لهم إنا معكم في العقيدة والنصرة ، وما أظهرناه من الإيمان كان من قبيل الاستهزاء بالمؤمنين .

الجزاء من جنس العمل فجزاؤهم ، (الله يستهزئ بهم) ويمهلهم إلى حين ؛ ليزدادوا إثماً على آثامهم ؛ وليبقوا حيارى في ضلالهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر .

ثم بيّن الله حالهم في ذلك فقال: (أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ) .

هؤلاء المنافقون الموصوفون بما تقدم قد استبدلوا بالهدى ضلالا وعمي . واعتاضوا عن النور ظلاماً ، فما ربحوا في صفقتهم تلك أمناً ولا سلاماً ، وما كانوا مهتدين إلى حق أو خير ، حيث خرجوا باختيارهم من الهدى إلى الضلال . ومن الجماعة إلى الفرقة . ومن الأمن إلى الخوف . فهم قد جمعوا بين الخسران وعدم الاهتداء . كما أن المتقين قد جمعوا بين الهدى والفلاح .

المناقشة

١ — لماذا كان المنافقون أخبث الكفار وأبغضهم إلى الله؟، وأين ظهرت هذه الطائفة ؟ ومتى ؟ ولماذا اهتم القرآن بالحديث عنهم ، والتحذير منهم ؟

٢ — وصفت الآيات المنافقين بصفات فاذكرها. وهل ذكرها في الآيات يفيد الحصر أو التمثيل ؟

٣ — من صفات المنافقين (ادعاء الصلاح والإصلاح) فأي الآيات يشير إلى ذلك؟

٤ — قال الله تعالى : « وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس ، قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء ..... الآية . فأجب عما يأتي :

ما المراد بالإيمان في الآية ؟ وما المراد بالناس ؟ وما معنى السفهاء ؟ وما المراد بها في المرة الأولى والثانية ؟

٥ — قال تعالى : « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون ، الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون ، أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » :

أ — إلى أي الصفات تشير الآيات ؟

ب — من المشار اليه في قوله (أولئك الذين ....) الآية ؟ وما معناه ؟

ج — بين معاني الكلمات الآتية ، خلوا ، شياطينهم ، يمدهم في طغيانهم ، يعمهون .

٣ـ من سورة البقرة «حـ»

لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ
وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ
وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ
ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ
وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ
بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ
وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

معاني المفردات

الكلمة	معنـــاها
الـــبر	كلمة جامعة لكل خصال الخير .
قبل المشرق والمغرب	ناحيتهما .
اليوم الآخر	يوم القيامة .
آتى المال على حبه	أعطاه وبذله مع رغبته فيه ، أو حبه له .
المساكين	جمع مسكين . وهو من أسكنته الحاجة ولم يجد كفايته .
ابن السبيل	هو المسافر البعيد عن ماله ولا يمكنه الإتصال بأهل أو بذي قرابة .
السائلين	جمع سائل وهو من ألجأته الضرورة إلى السؤال
وفي الرقاب	وفي سبيل تحرير الرقاب من الرق إلى الحرية .
أقام الصلاة	أداها على أقوم وجه وأكمله .
الموفون بعهدهم	العهد ما يلتزم به إنسان لآخر .
البأساء	الفقر والشدة .
الضراء	كل ما ينزل بالإنسان من ضر كالمرض وفقد الأهل والمال .
وحين البأس	في حالة القتال والتقاء الأعداء .
أولئك الذين صدقوا	في دعوى الإيمان وتحري البر .
المتقون	المبتعدون عن المحارم الفاعلون للطاعات .

المقاصد

تناولت هذه الآية أموراً من البر نجملها فيما يأتي :

أولا : البر لا يتعلق بالمظاهر والصور والأشكال .

ثانياً : البر في العقيدة .

ثالثاً : البر في العمل .

رابعاً : البر في الخلق .

خامساً : أثر هذا البر .

الشرح

سبب نزول هذه الآية

لما فرضت الصلاة بمكة قبل الهجرة كانت قبلة المسلمين في صلاتهم إلى الكعبة ، فلما تمت الهجرة إلى المدينة ، أمر الله المسلمين بالتوجه في صلاتهم إلى بيت المقدس ، تألفاً لليهود الذين كانوا في المدينة وما حولها ، ومكث الأمر على ذلك نحو ستة عشر شهراً ، كان الرسول (ﷺ) والمسلمون في أثنائها يتحرقون شوقاً إلى الاتجاه نحو الكعبة ، لما لها في قلوبهم من المكانة والقداسة ، لا سيما بعد أن لم يجد هذا التألف لليهود ، بل انقلبوا يرجفون في المدينة ويطمعون أن يكون المسلمون لهم تبعاً ، ويقولون : إن محمدا يتبع قبلتنا ويخالف ديننا .

فلما نزل قوله تعالى : « **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شطر الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ** » توجه المسلمون في صلاتهم إلى الكعبة ، فأكثر اليهود

والنصارى من الخوض في أمر هذا التحويل، والتشكيك في هذا الدين، فأنزل الله هذه الآية « **لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ...** » الآية . ليقرر ويبين للناس جميعاً أن البر لا يتعلق بالمظاهر والأشكال، ولا ينال بمجرد التوجه إلى بيت المقدس أو الكعبة لأنها في ذاتها أماكن عادية تستوي معها جميع الأماكن والجهات . ولكن البر الحقيقي إنما يحصل بطاعة الله عز وجل وامتثال أوامره . والتوجه حيثما وجه ، والاتباع لما شرع ، فهذا هو البر والتقوى والايمان الكامل .

وليس في لزوم التوجه إلى جهة من المشرق أو المغرب بر ولا طاعة إن لم يكن عن أمر الله وشرعه، روى مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **إِنَّ اللهَ لا يَنْظُرُ إِلى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ** » .

ثم ترشد الآية بعد ذلك إلى أن البر المطلوب الذي ينبغي الحرص عليه ، معنى أكبر وأجل وأعظم من مجرد التوجه نحو المشرق أو المغرب ، وأنه معنى يتعلق بأمور جامعة لكل خير ويتنوع إلى أنواع ثلاثة : بر في العقيدة ، بر في العمل ، بر في الخلق .

البر في العقيدة وأثره

والمراد به الاعتقاد الحق الذي ينشأ عنه التصور الصحيح للكون والحياة والقيم، ويترتب عليه السلوك الصحيح ،وهو يتحقق بأمور خمسة من أصول الإيمان ذكرها الله في الآية بقوله تعالى : (**وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ**)

الأصل الأول :

الإيمان بالله . (**مَنْ آمنَ بِالله**) .

أي التصديق بأنه رب كل شيء ومليكه وإليه يرجع الأمر كله . ما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ، وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم الرحمن الرحيم ، مع الإذعان والتسليم ، وانفعال النفس بهذا اليقين .

ومن آثار هذا الايمان وبره ، بعث العزة والقوة والثقة والأمل في نفس المؤمن فلا يذل إلا لله، ولا يرجو ولا يخاف أحداً سواه . (**فمن يُؤمِنْ بِرَبِّهِ فلا يَخَافُ بَخْساً وَلا رَهَقاً**) .

الأصل الثاني :

الإيمان بيوم الحساب ، وهو المراد بقوله تعالى (**وَالْيَوْمِ الآخِرِ**) ومعناه اليقين بأن الدنيا الى انتهاء . وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور وأن الله سيحاسب العباد على ما قدموا ، (**فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الجَحِيمَ هِيَ المَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المَأْوَى**) .

ومن آثار الايمان وبره ، أنه يعلق الانسان بحياة أخرى أعلى وأسمى وراء هذه الحياة الدنيا ،فلا يجعل الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه فيستغرق في لذاتها وشهواتها بل يجعل همه محبة الخير وأهله والعمل به ، والحرص على إسداء المعروف ، مع كراهية الشر وتجنب الظلم والأذى والإفساد في الأرض ، إيماناً بأن الله يجازيه على ما قدم غداً يوم الدين، في نار وقودها الناس والحجارة ، أو جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين .

الأصل الثالث : الإيمان بالملائكة . وهو المراد بقوله تعالى (**وَمَلَائِكَتِهِ**) أي التصديق بوجودهم وأنهم كما وصفهم الله (**عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ، لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**) وهم جند لله يؤيد بهم أولياءه وينفذ قضاءه ، والإيمان بهم جزء من الإيمان بالغيب وليس فيه ما يناقض العقل أو يستحيل الوقوع .

ومن أثر هذا الايمان وبره أنه يسوق الطمأنينة والأنس لقلوب المؤمنين ويزيدهم تقى وخشية .

الأصل الرابع : الإيمان بالكتب السماوية ، وهو المراد بقوله تعالى (**وَالْكِتَابِ**) أي التصديق بأنها من كلام الله ووحيه أنزلها على المصطفين من عباده ، وبأن كل ما تضمنته حق ويصدق بعضها بعضاً .

ومن آثار هذا الايمان وبره ، إعلان وحدة الرسالات السماوية ، وتنقية النفس الإنسانية من التعصب الذميم ضد الديانات والمؤمنين بها ما داموا على الطريق المستقيم ، والإطمئنان إلى رعاية الله للبشرية على تطاول أجيالها وأحقابها ، وسرعة امتثال أمر الله فيها .

الأصل الخامس : الإيمان بكل الرسل ، وهو المراد بقوله تعالى (**وَالنَّبِيِّينَ**) .

أي التصديق بأنهم بشر اصطفاهم الله تعالى من بين عباده ، وعصمهم ، وأوحى اليهم وجعلهم سفراء لهداية خلقه ، وأنهم أدوا الأمانة ، وبلغوا الرسالة ، ونصحوا لأممهم ، وأيدهم الله بالمعجزات حتى قامت بهم الحجة على العباد .

ومن آثار هذا الايمان وبره ، الإيمان بوحدة البشرية والرسالات السماوية ووحدة الإله . ووحدة الدين ، ووحدة المنهاج الإلهي .

البر في العمل وأثره

وقد بيّنه الله تعالى في قوله :

(وَآتَى المَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي القُرْبَى وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ) وكلها فضائل عملية وبر وخير .

والعمل هو ثمرة العقيدة وهو في نفس الوقت مددها ، يحفظها وينميها ، ويدل عليها .

والبر في العمل له شعب كثيرة ، ترجع كلها — مهما اختلفت مظاهرها وأشكالها — إلى صدق الإيمان بالله ولقائه ، وإيثار ما عنده ، وإخلاص العبودية له .

فإيتاء المال على حبه ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، كلها آية الإيمان وثمرة الإخلاص والتقوى ابتغاء مرضاة الله وإيثاراً لما عنده من الثواب العظيم والأجر الجزيل (مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللهِ بَاقٍ)

وقد عطف في الآية قوله تعالى (وَآتَى الزَّكَاةَ) على قوله تعالى (وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ) والعطف يقتضي المغايرة ، فدل ذلك على أن في المال حقاً سوى الزكاة كما جاء ذلك في الحديث (١) ، وأن الزكاة حد أدنى أوجبه الله لطائفة مخصوصة لا يغني عن صلة الرحم وبر اليتيم ، وقرى الضيف ، وجهاد للعدو ، وحقوق أخرى تلزم المسلم في مناسبات كثيرة .

وقد ذكرت الآية ستة أصناف على سبيل التمثيل لا الحصر — جعلت إيتاءهم المال على حبه برّاً وقربى وآية للتقوى هم :

---

(١) عن فاطمة بنت قيس رضى الله عنها قالت ، (سالت اوسئل النبى صلى الله عليه وسلم عن الزكاة فقال ، (ان فى المال لحقا سوى الزكاة) ـ ثم تلا ، ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ـ الآية . رواه الترمذى .

(١) ذوي القربى ، فإن إيتاءهم المال بر ، وصلة وبركة في المال ومنسأة في الأجل

(٢) اليتامى ، فإن إيتاءهم المال برورحمة وتكافل ومروءة وتماسك في الأمة .

(٣) المساكين ، فإن إيتاءهم المال بر واحتفاظ بكرامتهم وصيانة لهم من الفساد ، وتعاون للأمة .

(٤) السائلين ، فإن إيتاءهم المال بر بهم ونجدة وكف لهم عن ذل المسألة ولا تحل المسألة لغني ولا قادر قوي

(٥) ابن السبيل فإن إيتاءه المال بر ونجدة في ساعة العسرة واشعار له بأن الإنسانية كلها أهل .

(٦) وفي الرقاب ، فإن إيتاءهم المال بر بهم لتحرير رقابهم ، وفيه رد على الخراصين والأفاكين الذين يفترون على الإسلام الكذب وهم يعلمون .

وقد شرطت الآية أن يكون انفاق المال (**عَلَى حُبِّهِ**) — وحب المال أمر فطري — فيحتمل أن المراد بذله مع الحاجة إليه ، لأن فيه معنى الإيثار والتضحية والبر ، وقد جاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أي الصدقة أفضل ؟ فقال : (**أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَى الفَقْرَ وَتَأْمَلُ الغِنَى وَلَا تُهْمِلْ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ قُلْتَ لِفُلَانٍ كَذَا وَلِفُلَانٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ**) وقد أثنى الله على الأنصار بمثل هذا فقال تعالى : (**وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**) .

ثم ذكرت الآية (**أَقَامَ الصَّلَاةَ**) .

والصلاة مظهر من مظاهر العبودية والولاء لله عز وجل ، لا تتحقق إقامتها بمجرد أداء أقوالها وأفعالها فحسب ، وإنما بوجود سرها وروحها وهو الخشوع ، فتلك التي وصفها الله بأنها (**تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ**) وبها يتحلى صاحبها

بالأخلاق الفاضلة ، ويتخلى عن الرذائل ، ولا يخشى في الحق لومة اللائمين ولا يبالي بما يلقى في سبيل الله من الشدائد ، ولا بما ينفق من فضله ابتغاء مرضاته . أما إذا كانت الصلاة مجردة عن هذه المعاني فليست من البر في شيء .

(وَآتَى الزَّكَاةَ) . والزكاة بر للفقراء ، تسد حاجتهم وعوزهم وتطهر قلوبهم من الحقد على الأغنياء وتملؤها بمحبتهم ، وعامل هام في تحقيق الأمن والسلام والإخاء في المجتمع .

البر في الخلق

وهو معنى يكمن في صلابة النفس واستعلائها ، وثبات الأخلاق وتماسكها ، وأعظم ما يظهر ذلك في أمرين من أهم قواعد السلوك ذكرتهما الآية هما :

(١) الوفاء ، قال تعالى : **(وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا)** .

(٢) الثبات ، قال تعالى : **(وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ)** .

أما الوفاء بالعهد فلأنه سمة الإسلام ، وآية الإيمان والإحسان . قال صلى الله عليه وسلم : **(لا إِيمَانَ لِمَنْ لا أَمَانَةَ لَهُ وَلا دِينَ لِمَنْ لا عَهْدَ لَهُ)** وهذا المبدأ شامل لما يعاهد عليه الناس بعضهم بعضاً ، ولما عاهد عليه المؤمنون ربهم من السمع والطاعة لكل ما جاء به في دينه .

والوفاء بالعهود ينشىء الثقة والطمأنينة بين الأفراد والجماعات ، وبين الأمم والدول بعضها مع بعض ويحفظ كيان المجتمع من انفراط عقده وانهدام بنائه .

وأما الثبات أو الصبر فهو من البر الذي يريده الله لعباده المؤمنين ، ذلك أن يوطنوا أنفسهم على الصبر في أوقات الشدة وحالاتها : في الفقر ، وعند نزول

المصائب والمحن ، وفي ميادين القتال . وخصت هذه المواطن الثلاثة بالذكر — مع أن الصبر محمود في جميع الأحوال — لأن من صبر فيها كان في غيرها أصبر .

فالفقر إذا اشتدت وطأته ضاق به الصدر وكاد يفضي إلى الكفر .

والضر إذا برح بالبدن أضعف المقاومة والهمم .

وكفى بالحرب فتنة ، تزلزل قلوب الرجال إذا ذكروا ضرب الرقاب ويتم العيال .

فلا جرم أن كانت هذه الأخلاق والأعمال وأصول الإيمان آية صدقهم والتزامهم كلمة التقوى (**أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ**) .

وهكذا تجمع آية واحدة بين أصول الاعتقاد والعمل ، والأخلاق ، وتجعلها كلا لا يتجزأ ، وتضع لها عنواناً واحداً هو (**الْبِرُّ**) .

المناقشة

١ — ما سبب نزول الآية ؟

٢ — البر لا يتعلق بالمظاهر والأشكال فأي فقرة من الآية تشير إلى ذلك ؟

٣ — ما الأصول التي تحقق البر في العقيدة ؟ وما أثر الإيمان بها في تحقق البر في حياة الناس ؟

٤ — ذكرت الآية البر في العمل بقوله تعالى : (وآتى المال على حبه ذوي القربى... وآتى الزكاة ، فأجب عما يأتي :

ما قيمة العمل بالنسبة للعقيدة ؟ ولماذا جمع الله بين إيتاء المال على حبه —

للأصناف المذكورة – وايتاء الزكاة ؟ وما الذي يفهم منه ؟ وما معنى (وآتى الزكاة) ؟ وما معنى (وأقام الصلاة) ؟ ومتى تحقق الصلاة البر ؟

٥ – ماذا يفيد قوله (على حبه) بعد (وآتى المال) ؟ ولماذا خصت الأصناف الستة بالذكر دون غيرهم ؟ وهل هذا يدل على الحصر ؟ وكيف يحقق دفع المال اليهم البر ؟

٦ – اذكر المبادىء التي تحقق البر في الخلق، مبيناً أثر هذه المبادىء في حياة الأمة، ولماذا خص الصبر في البأساء والضراء وحين البأس بالذكر ، مع أن الصبر محمود في جميع الأحوال ؟

٧ – ما الأمور التي تضمنتها هذه الآية الكريمة . ؟

(٢٨١) يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم
بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ
كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ
فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ
وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا
أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ
وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ
فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ
إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ
إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓا۟ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا
إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ
أَلَّا تَرْتَابُوٓا۟ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ
فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ
وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۚ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ (٢٨٢)

معاني المفردات

الكلمة	معناها
إذا تداينتم	تعاقدتم على أشياء في الذمة
بدين	بالتزام ثبت في الذمة مال أو غيره .
إلى أجلٍ مُسَمّى	إلى وقت معلوم . محدد بالسنة والشهر واليوم
وليكتب بينكم كاتب	ويفرض على من يعرف الكتابة . ويطلب لها لإثبات الدين أن يجيب إذا لم يوجد غيره .
بينكم بالعدل	كاتب يتوسط بين المتداينين ولا يكون أحدهما ببيان حق كل من الطرفين بغير ميل إلى أحدهما
ولا يأب كاتب	ولا يمتنع عن كتابة الدين .
وليملل الذي عليه الحق	وليمل المدين على الكاتب . مقدار دينه ووقت حلوله ، حتى يقر على نفسه بذلك ، والذي عليه الحق عام يتناول كل طرف ملتزم ، فله الحق في الإملاء لأنه الطرف الضعيف في العقد .
ولا يبخس منه شيئاً	ولا ينقص المملي من الدين الذي عليه شيئاً .
سفيهاً	ناقص العقل سيىء التصرف في المال .
أو ضعيفاً	صغيراً ، أو شيخاً هرماً لا يحسن التصرف
أو لا يستطيع أن يمل هو	أو غير مستطيع لعاهة ، أو جهل باللغة ، أو القانون
فليملل وليه	المسؤول عنه ، ولو كان رئيس نقابته أو كبير جماعته .
واستشهدوا شهيدين	واطلبوا شاهدين للشهادة على الدين .
من رجالكم	من المسلمين إذا كانت الخصومة بين المسلمين

ممن ترضون من الشهداء	ممن ترضون شهادتهم لعدالتهم وحسن سيرتهم
أن تضل إحداهما	تخطىء لعدم ضبطها وقلة عنايتها .
ولا تسأموا أن تكتبوه	ولا تملوا أن تكتبوا عقد الدين وأجله .
ذلكم أقسط عند الله	« ذلكم » الإشارة إلى (كتابة الدين ، وإملاء المدين ، والإشهاد) كلها أعدل عند الله .
وأقوم للشهادة	أثبت للشهادة وأعون على إقامتها .
وأدنى ألا ترتابو ا	وأقرب ألا تشكوا في جنس الدين ومقداره وأجله وشهوده .
إلاأن تكون تجارةحاضرة	إلا أن تتبايعوا بيعاً ناجزاً ببدلين حاضرين .
فليس عليكم جناح ألا تكتبوها	فلا بأس إذا لم تكتبوا ، لأن التنازع فيها مستبعد الوقوع .
ولا يضار كاتب ولا شهيد	يحرم أن يلحق الضرر بالكاتب . بسبب كتابته أو الشاهد بشهادته .
فسوق بكم	معصية وخروج عن الطاعة .
ويعلمكم الله .	ويعلمكم الله الأحكام . التي تحفظ حقوقكم وتصلح ذات بينكم .

المقـــاصد

تضمنت هذه الآية :

١ ــ أمر الله بكتاب الدين .

٢ ــ كاتب الدين لا يكون أحد المتداينين .

٣ — المدين والملتزم هو الطرف الضعيف في العقد . فهو صاحب الحق في الإملاء ، ليكون ما يمليه اقراراً منه على نفسه ، والآية تبطل عقود الإذعان .

٤ — الإشهاد على الدين لازم للإثبات مع الكتابة .

٥ — التوثيق بكتابة الدين مهما كانت قيمته خير للمتداينين .

٦ — الإشهاد ضروري في التبايع المكتوب وغير المكتوب .

الشرح

هذه الآية تسمى آية الدين، وهي أطول آية في كتاب الله ، وكلها تتعلق بتوثيق ، الدين وكتابته ، والإشهاد عليه والمحافظة على حقوق المتعاقدين ، وحرمات الكاتب والشهود ، وهي تربط ذلك كله بتقوى الله والحق والعدل ، وتجعله ديناً لا يحل لأي من الطرفين المتعاقدين — الدائن أو المدين — أن يخالف عن الحق والعدل فيه ، فمن فعل فقد فسق عن أمر ربه وتعرض لعقابه وانتقامه .

ذلك ليعلم الناس أن الاسلام ليس مجرد عقائد وشعائر وعبادات ورقائق ، ولكنه نظام كامل يضبط الحياة في الدرهم والدنيار كما يضبطها في كل شيء ، وأن أطول آية فيه هي تعليم من الله لعباده كيفية توثيق عقودهم وكتابة ديونهم ، والإشهاد عليها . وتحديد من له الحق في إملاء شروطه والإقرار بما التزم به ، وكل ذلك يسميه الناس قانوناً تجارياً أو مدنياً أو ما شاءوا أن يسموه ، ولكنه في كتاب الله دين وطاعة وشرعة ومنهاج . فليعلم المسلمون هذا ، وليعلم الذين يحاولون أن يعزلوا الإسلام عن الحياة ، ويحصروه في العبادات والمساجد والصلوات أنهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض ، وما جزاء من يفعل ذلك إلا خزي في

الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب « فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ » .

« وقد حددت الآية أمرين ضرورين لتوثيق الدين هما الكتابة والإشهاد » .

أما الكتابة

فقد بينت حكمها وشروط كاتبها ، ووجوب الكتابة عليه ، ومن له حق الإملاء فيها ، ومن ينوب عنه إذا عجز هو عن حقه، ووجوب التزام تقوى الله والعدل دائماً .

وأما الاشهاد

فقد بينت حكم الشهادة ، ونصابها وشروط الشاهد ، ووجوب قيامه بها ، وحرمة امتناعه عن آدائها أو تحملها .

ثم رغبت الآية في كتابة الدين مهما قل أو كثر ، وبينت الفوائد التي تترتب عليها ثم حرمت على المتعاقدين الإضرار بالكاتب أو الشهيد، بسبب قيام كل بواجبه، كما حرمت عليهما أن يضرا أحداً من المتعاقدين بكتابة باطل أو شهادة زور .

«٢» الكتابة

وقبل أن نتناول البحث في الكتابة والكاتب وشروطه، ومن له حق الإملاء الخ . ننبه إلى أن الدين إلى أجل مسمى المذكور في الآية . يتناول كل التزام بعمل في الذمة . كبناء بيت، أو عمل في مصنع ، أو وظيفة ما، فتنبغي كتابته، والتقيد بكل حق شرعه الله في الدين فإنه التزام داخل في معنى الدين ايضاً .

١ — توثيق الدين بالكتابة :

قال الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ﴾ .

تصدير الآية بالنداء بوصف الإيمان. يشير إلى أهمية الموضوع ، وأن امتثال أمر الله فيها «بكتابة الدّيْن» ، من صفة أهل الإيمان مع أنه أمر بعمل دنيوي بحت ، ولكنه تشريع من الله الحكيم الذي يشرع للدنيا وللآخرة .

وجوب كتابة الدين

وظاهر الأمر في قوله تعالى ﴿ فَاكْتُبُوهُ ﴾ الوجوب. فيتعين على كل متداينين بدين إلى أجل مسمى أن يكتبوا هذا الدين، حتى لا يقعوا في تجاحد أو خلاف بعد ذلك ، وقال بعض العلماء بل الأمر للاستحباب ، وهو غير ظاهر ، بل القوانين الوضعية اليوم توجب الكتابة إذا بلغ الدين قدراً معيناً .

وجوب تعلم الكتابة

وفي الأمر بالكتابة هنا وايجابها معنى كبير ، وتوجيه الى غرض اجتماعي خطير هو ضرورة تعلم الكتابة التي تحتاج اليها الأمة، وتتوقف عليها كتابة الديون وتوثيق الحقوق وهي واجبة ، وما توقف عليه الواجب فهو واجب ، ففيهاالحث على الكتابة ومحو الأمية ضمناً ،وذلك يتسق مع الأمر بالقراءة في أول آية انزلت على نبينا محمد (ﷺ) أنزلها الله « الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ »

شروط الكاتب

وقد شرطت الآية شروطاً في الكاتب أهمها .

(١) ألا يكون أحد المتعاقدين بدليل قوله تعالى (بَيْنَكُمْ) أي بين المتعاقدين ، وهو يقتضي بالبداهة أن يكون غيرهما ووسيطاً بينهما .

(٢) أن يكون عارفاً بأصول الكتابة وما ينبغي أن ينص عليه وأن يسجل .
بدليل قوله تعالى (كَاتِبٌ) أي فاهم لا أي شخص يكتب .

(٣) العدالة . حتى لا يميل إلى أي من الطرفين المتداينين . بدليل قوله تعالى(بالعدل) .

وجوب الكتابة على الكاتب

تيسيراً على المتعاقدين وتوثيقاً للمدين .
وقد أوجب على الكاتب العارف أن يقوم بواجب الكتابة بين المتعاقدين .

(١) فذلك من التعاون على البر والتقوى الذي أوجبه الله على المؤمنين .

(٢) ومن النصح الواجب الذي جعله الله حقاً للمسلم على المسلم .

(٣) ومن شكر نعمة الله الذي علم بالقلم فلذلك أوجبها الله عليه في الآية وأكدها مرتين فقال : (**وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللهُ فَلْيَكْتُبْ**) .

فنهاه عن الامتناع ، وكرر الأمر بالكتابة بنفس الصيغة (فليكتب) كل ذلك تيسيراً على المتداينين . وحفظاً لحقوقهم ، ودفعاً لأسباب الشحناء والخلاف بينهم .

المدين هو صاحب الحق في الإملاء :

وقد جعل الله للمدين في (الآية) حق إملاء شروطه والتزاماته فقال : (**وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ**) لأنه الطرف الضعيف في العقد فلا ينبغي أن يكون واقعاً

تحت قهر الدائن، أو الطرف القوى فيظلمه ويلزمه مالا يلزمه ، فلذلك جعل الله عز وجل له الحق في إملاء إقراره باختياره لأنه سيلزم به .

الإملاء حق للذي عليه الحق :

وهذا الحق للمدين في إملاء بنود العقد. كما يثبت للمدين بمال في بيع أو قرض أو سلم، الخ . يثبت كذلك للمدين بعمل، أو إقامة مشروع ، أو الملتزم بأمر ، ما فله الحق كذلك في إملاء بنوده وما يقرّبه . فالعامل ، أو الموظف، أو المقاول الملتزم ، هو الذي يحدد التزاماته التي يجب عليه الوفاء بها ، وحقوقه التي يستحقها بالعدل .

حق الإملاء سبق به الإسلام :

هذا الحق سبق الإسلام بتقريره ، كل قوانين العمل في أمم الأرض ، بل لم تعرفه البشرية إلا أخيراً ، ولم يصل اليه العمال ولم تعترف به الدول إلا بعد اضطرابات واضطرابات ، وثورات تعرضت فيها المصانع للتخريب والتعطيل ، وتعرضت فيها بلاد لسفك الدماء ، وذهاب الأمن ، وكثير من الضحايا . لكن الإسلام قدمه للبشرية هدى ورحمة . ابتداء من عند الله العليم الحكيم . من غير أن يمر بتجارب أو تلجئه إليه اضطرابات أو ثورات والحمد لله رب العالمين .

بطلان عقود الإذعان :

وهذا الحق يبطل ما يسمى (عقود الإذعان) وهي الشروط والعقود المجحفة التي تفرض على الطرف الضعيف في العقد، فتسبب له ضرراً أو غرراً ، وهو مع ذلك لحاجته وفقره لا يملك إلا أن يوقع كارهاً ، والله تعالى يقول (وَلا تَنْسَوُا الفَضْلَ بَيْنَكُمْ) .

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول : **(لا ضَرَرَ وَلا ضِرَارَ) . (وكُلُّ شَرْطٍ خَالَفَ كِتَابَ اللهِ فَهُوَ بَاطِلٌ بَاطِلٌ) .**

الإملاء بالعدل :

ولما أعطى الله المدين الحق في أن يملي بنود العقد. أوجب عليه تقوى الله والتزام العدل، وألا يبخس من حق الطرف الدائن شيئاً فهذه بتلك. فقال تعالى : (**وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئاً**) .

الإنابة في الإملاء :

ثم قرر الله سبحانه في الآية لولي المدين الذي عليه الحق أن ينوب عنه في الإملاء. إن لم يستطع أن يمل لصغر ،أو عجز أو سفه، أو عدم علم بالحقوق ولغة العقود ، وهو تأكيد آخر لثبوت حق الإملاء للطرف الضعيف الملتزم ، قال تعالى: (**فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ**) والولي هنا أقرب العصبة، ويجوز أن يكون رئيس العشيرة أو النقابة .

وهذه النيابة من التعاون على البر والتقوى ، والنصح الذي أوجبه الله بين المسلمين، فيجب على الولي أن يقوم بها لأن الله يقول : (**فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ**) .

بالعـــدل :

وقد شرط الله العدل أيضاً في إملاء الولي ،وأوجبه عليه فقال تعالى : (**وَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ**) والعدل وتقوى الله قاسم مشترك أعظم في كل أعمال المسلم وعقوده وأحكامه وتصرفاته .

«٢» الإشهاد

حكم الشهادة ونصابها وشروط الشاهد :

وقد أوجب الله الإشهاد على المداينة وجعلها أصلا لاثبات الحق ، وقطع المنازعات فقال تعالى : « واستشهدوا » وحدد نصابها بشاهدين فقال : « **وَاسْتَشْهِدُوا**

شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ » . فأمرنا أن يشهد على المداينة رجلان من المؤمنين ممن حضرها « فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ » » فشرط في المداينة بين المسلمين شرطين في الشاهد (١) أن يكون مسلماً بقوله « مِنْ رِجَالِكُمْ » (٢) أن يَكُون عدلا بقوله« مِمَّنْ تَرْضَوْنَ » .

أما إذا كان المتداينان أو الذي عليه الحق غير مسلم . فتجوز شهادة غير المسلمين . وقد أقام الشرع الحكيم الثنتين من النساء مقام الرجل الواحد. حتى إذا نسيت إحداهما شيئاً من الشهادة تذكرها الأخرى. فإن للنساء شغلا جبلن عليه غير هذه الأمور المالية التي قد لا تعنينهن كثيراً فلا يذكرنها .

وجوب القيام بالشهادة وحرمة الامتناع عن تحملها أو أدائها :

قال تعالى (**وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا**) ولا ينبغي للشهود أن يمتنعوا عن تحمل الشهادة ليؤدوها حين الحاجة ، روى الربيع أن الآية نزلت حين كان الرجل يطوف في القوم الكثير فيدعوهم إلى الشهادة فلا يتبعه أحد منهم .

كذلك لا ينبغي لأحد منهم أن يتخلف عن أدائها إذا دعي للقضاء ليشهد بماعلم

الترغيب في كتابة الدين مهما قل أو كثر وبيان الفوائد التي تترتب على ذلك :

ولكثرة المداينات، وتعدد المعاملات. وهي مظنة أن يمل المتعاقدون الكتابة ، حذرنا الله من ذلك فقال : (**وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيراً أَوْ كَبِيراً إِلَى أَجَلِهِ**) ثم ذكر سبحانه فوائد ثلاثاً تعود على المتعاقدين منها أنها :

(١) أقسط عند الله ، وأبعد لكم عن الجحود والطمع ، والظلم وسوءعاقبته .

(٢) وأثبت للشهادة فإن الشاهد إذا رأى توقيعه تذكر به الشهادة .

(٣) وأقرب إلى عدم ارتياب بعضكم من بعض .

الرخصة في عدم الكتابة في التبايع الحاضر :

رخص الله في ذلك بقوله **(إلا أنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ألا تَكْتُبُوهَا)** . إذ لا يترتب عليها تنازع أو خلاف .

ضرورة الشهادة في التبايع الحاضر :

أما الاشهاد فلم يرخص في تركه بل أمر به في قولـه **(وأشْهِدوا إذَا تَبَايَعْتُمْ)** أي وأشهدوا في التبايع حتى في التجارة الحاضرة قطعاً لأسباب التنازع والخلاف .

وحرمت الآية على المتعاقدين الإضرار بالكاتب أو الشهيد بسبب قيام كل بواجبه كما حرمت عليهما أن يضرا أحداً من المتعاقدين بكتابة باطل أو شهادة زور ، فقال تعالى : **(وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيد)** أي لا يحل أن يقع على الكاتب أو الشاهد إساءة أو أذى من أحد المتداينين . بسبب الكتابة أو الشهادة .

كما لا يحل أن يوقع الكاتب أو الشاهد ضرراً بأحد المتداينين بالتحريف أو التغيير .

وعبر الله بقوله : (ولا يُضَارَّ) بإدغام الراء في مثلها ليكون الفعل صالحاً للبناء للمعلوم أو المجهول ، فيكون المراد ، ولا يضارِرْ أولا يضارَرْ كاتب ولا شهيد ، فان فعلوا ذلك فوقع من الكاتب أو الشاهد ضرر على أحد المتداينين ، أو وقع من أحد المتداينين ضرر على الكاتب أو الشاهد. كان ذلك معصية وفسوقاً يعرض صاحبه لعذاب الله وانتقامه ، واتقوا الله في جميع ما أمركم به ونهاكم عنه ، وهو سبحانه يعلمكم ما فيه صلاح حالكم وحفظ أموالكم ، ولولا هديه لكم لم تعلموا شيئاً وهو العليم بكل شيء ، فاذا شرع شيئاً من الأحكام فإنما يشرعه عن علم محيط بأسباب درء المفاسد ، وجلب المصالح لمن اتبع شرعه وهداه .

المناقشة

١ — ما الذي تضمنته الآية ؟

٢ — ما الذي تسمى به هذه الآية ؟

٣ — بعض الناس يقولون إن الإسلام مجرد عقائد وشعائر ورقائق. فكيف ترد عليهم بعد أن درست هذه الآية ؟

٤ — حددت الآية أمرين ضروريين لتوثيق الدين فما هما ؟

٥ — ما الذي يتناوله الدين إلى أجل مسمى المذكور في الآية ؟

٦ — ما الذي صدرت به آية الدين ؟ ولماذا ؟

٧ — ما حكم كتابة الدين ؟ مع إقامة الدليل ؟

٨ — شرطت الآية شروطاً في الكاتب فما أهمها ؟

٩ — لقد أوجب الله على الكاتب العارف أن يقوم بواجب الكتابة لأمور فما هي ؟

١٠ — لماذا جعل الله للمدين حق الإملاء في كتابة العقد ؟ وهل هذا خاص للمدين بمال فقط ؟

١١ — حق الإملاء في العقود سبق به الإسلام وكل قوانين العمل الوضعية . وضح ذلك .

١٢ — لما أعطى الله المدين الحق في إملاء بنود العقد أوجب عليه جملة أمور فما هي ؟ مع إقامة الدليل .

١٣ — ما الأمور التي تبيح للمدين أن ينيب عنه غيره في الإملاء ؟

١٤ — ما حكم الشهادة على العقود ؟ وما نصابها ؟ وما شروط الشاهد ؟

١٥ — متى تجوز شهادة غير المسلم ؟

١٦ — لماذا جعل الإسلام في الشهادة الثنتين من النساء مقام الرجل ؟

٥ ـ من سورة آل عمران « ١ »

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ
تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ
وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ
وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ
قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ
مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ
لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾

معاني المفردات

الكلمة	معناها
إن تطيعوا	إن تسمعوا لدعايتهم، وتحريفهم وإيقاعهم. أو تنخدعوا بتوجيههم .
من الذين أوتوا الكتاب	الذين نزلت فيهم الآية من اليهود ولكن المراد اليهود والنصارى .
يردوكم بعد إيمانكم كافرين	يردوكم إلى أخلاق الكافرين وجاهليتهم وتفرقهم وعصبيتهم، ويطفئوا نور الإيمان في قلوبكم .
آيات الله	القرآن الكريم .
وفيكم رسوله	وبين أظهركم نبيه محمد .
ومن يعتصم بالله	ومن يستمسك بدين الله ، اعتصم بالشيء تمسك به فمنع نفسه من الوقوع في الهلاك .
هدى إلى صراط مستقيم	أرشد إلى دين قويم .
حق تقاته	حق تقواه بالشكر والطاعة والذكر والحذر من أمر الجاهلية .
واعتصموا بحبل الله	واستمسكوا بدين الله وكتابه .
ولا تفرقوا	ولا تفعلوا ما يكون سبباً في الفرقة وتشتيت الشمل .
على شفا حفرة من النار	شفا الحفرة طرفها ،وبه يضرب المثل في القرب من الهلاك .

فأنقذكم منها	فخلصكم منها بالإيمان .
يبين الله لكم آياته	يوضح لكم قرآنه .
لعلكم تهتدون	لتكونوا على رجاء الهداية ، فتهتدوا إلى ما فيه خيركم في الدنيا والآخرة .

المقاصد

تضمنت هذه الآيات بياناً وأحكاماً ووصايا من الله للمؤمنين. للمحافظة على تردهم وحدتهم وكيانهم أهمها :

١ ـ تحذير الله المؤمنين من فتنة أهل الكتاب لهم ، وبيان عاقبة متابعتهم ، وأنها إلى الكفر بعد الإيمان ، والتفرق بعد الوحدة .

٢ ـ بيان أن التفرق كفر لانه من خصائص الكفر وحمية الجاهلية وثمراتها الطبيعية .

٣ ـ وصية من الله للمؤمنين بأمور خمسة ، فيهن عصمة من التفرق ونجاة ، هن :

١ ـ اتقوى الله حق تقاته

٢ ـ والثبات على الإسلام حتى الموت .

٣ ـ وجوب الاعتصام بالله والتمسك بكتابه .

٤ ـ الحذر من التفرق .

٥ ـ وجوب المحافظة على نعمة الله في تأليف القلوب ووحدتها وتآخيها على الإسلام بعد العداوة

الشرح

مرّشاس بن قيس اليهودي على نفر من الأوس والخزرج — وكانوا قد أسلموا وحسن إسلامهم — في مجلس جمعهم وهم يتحدثون ، فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم ، وصلاح ذات بينهم على الإسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية ، فقال : قد اجتمع ملأ بني قيلة « وهي أم الأوس والخزرج » بهذه البلاد والله ما لنا معهم — إذا اجتمع ملؤهم بها — من قرار ، فأمر فتىً شاباً من اليهود — وكان معه — فقال : اعمد إليهم فاجلس معهم ، وذكرهم ما كان بينهم من أحقاد وحروب ، وأنشدْهم بعض ما كان يهجو به بعضهم بعضاً من الأشعار ، ففعل ؛ فتكلم كل من الفريقين ، وذكر ما كان له ، وتحركت في صدورهم بذور العداوات القديمة ، وتنازعوا ، وتفاخروا ، حتى تواثب رجلان ، أوسيٌّ وخزرجيٌّ ، وقال أحدهم لصاحبه إن شئتم والله رددناها الآن جذعة كأول ما ابتدأت — وغضب الفريقان وقالوا : قد فعلنا ، السلاح السلاح وثار الناس وتنادت الأوس يا للأوس وانحاز بعضها إلى بعض وتنادت الخزرج يا للخزرج وانضم بعضها إلى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم — فخرج إليهم مسرعاً فيمن معه من المهاجرين ، حتى وقف بينهم ، وقال : يا معشر المسلمين اللهَ اللهَ ! ! أبدعوى الجاهلية ، وأنا بين أظهركم ، بعد إذ هداكم الله إلى الاسلام وأكرمكم به ، وقطع أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بينكم ، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفاراً ؟ ! .

فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان ، وكيد من عدوهم : فألقوا السلاح ، وبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضاً ، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سامعين مطيعين نادمين تائبين أخوة متحابين ، ورد الله كيد اليهود في نحورهم ، وأنزل الله هذه الآيات : « **يَـٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمنوا إن**

تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكتابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ » .

١ — تحذير :

يحذر الله عباده المؤمنين من طاعة أهل الكتاب ، لأنهم يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله من هدى ورحمة ووحدة وألفة . وما منحهم من إرسال رسوله ، ويوضح لهم النتيجة السيئة المترتبة على ذلك ، إذا أصغوا إلى دسهم وفتنتهم ، وهو الردة إلى الكفر بعد الإيمان ، كما قال تعالى : «وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ » والكفر يوجب الهلاك في الدنيا بوقوع العداوة والبغضاء والفتنة التي تؤدي إلى سفك الدماء ، وفي الآخرة بالخسران والتردي في نار جهنم .

« وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتلى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ » ثم استبعد الله أن يرتد المسلمون إلى الكفر لأمرين يمنعان منه .

الأول : أنهم يسمعون القرآن يتلى عليهم غضاً طرياً .

الثاني : بين أظهرهم رسوله صلى الله عليه وسلم يهديهم ويبين لهم ما أنزل اليهم ، ولهم فيه صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة ، فلا ينبغي لمثلهم أن يفتتنوا ولا أن يلتفتوا إلى إيقاع عدوهم وكيدهم ، بل عليهم أن يرجعوا عند كل شبهة أو فتنة يثيرها هؤلاء اليهود والأعداء إلى كتاب الله ، فسيجدون فيه الهدى والعصمة والغنى والنعمة .

وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يكشف عنها ، ويزيل ما علق بقلوبهم منها ، وإذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مضى فقد ترك فينا

سنته ، وكل من يستمسك بدين الله وكتابه وسنة رسوله ، ويعتصم بطاعته فهو مهتد معصوم من كيد الظالمين الحاسدين .

وهذه الآيات وإن كانت قد نزلت في سبب خاص — هو طاعة المسلمين من الأوس والخزرج لليهودي الذي فتنهم ، وأوقع بينهم العداوة والبغضاء، وعرضهم للكفر والتفرق وسفك الدماء— ولكن الحكم فيها عام يتناول كل طاعة ومتابعة لأهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وأشباههم ، يحذرنا الله منهم ، ويحرم علينا أن ننخدع بهم أو نطمئن إلى مخططاتهم أو دسائسهم أو مؤلفاتهم وخاصة المستشرقين والمبشرين منهم ، أو أن ندخل أبناءنا مدارسهم ومؤسساتهم ، مهما بدا لها من مظهر براق خادع فإن السم في الدسم . ولئن لم يدخلوهم في دينهم علانية أخرجوهم من الإسلام ومفاهيمه ومثله والولاء له ، وحببوا اليهم الكفر والفسوق والعصيان ، ونعوذ بالله من الخذلان ومن الكفر بعد الإيمان ، وصدق الله العظيم (**إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّكُمْ بعد إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ**) .

٢ — وصية الله للمؤمنين :

وقد وصى الله المؤمنين بعد هذا البيان والتحذير بوصايا خمس :— فيهن عصمة من كيد عدوهم ومكره ، ووقاية من التفرق والخلاف قبل وقوعه ، وفيهن علاج للفتنة ، وحسم للخلاف إذا وقع ، فقال تعالى منادياً لهم بوصف الإيمان : (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ**) .

هذه الوصية الأولى :

(تقوى الله حق تقاته) وذلك بأن يطيعوه فلا يعصوه ، وأن يذكروه فلا ينسوه ، وأن يشكروه فلا يكفروه ، عن ابن عباس أنه قال : (هي أن يجاهدوا في الله حق جهاده ، ولا تأخذهم في الله لومة لائم ، ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأمهاتهم) وتقوى الله خير عاصم من فتنة فمن اتقى الله وقاه فسلم في دينه ودنياه .

الوصية الثانية :

(**وَلا تَمُوتُنَّ إلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ**) أي اثبتوا على دين الإسلام وعقائده وشرائعه والمحبة له والأخوة فيه وكراهة الكفر حتى الموت .

الوصية الثالثة :

(**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً**) بأن يستمسكوا بدين الله وكتابه فيحكموه في كل شيء، ويطلبوا عصمتهم باتباعه والإنقياد لأمره وحكمه والموالاة له، والمعاداة فيه ، وقد أوجب الله فيه الموالاة والأخوة بين المؤمنين ، وحرم أن يتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أو أن يطيعوهم أو يأمنوا لهم .

الوصية الرابعة :

(**وَلا تَفَرَّقُوا**) وأن يحرصوا على الوحدة والجماعة ، وتعاطي أسبابها ، ويحذروا أسباب الفرقة والشتات ، والوقوع في أسبابها ، من الإصغاء للوقيعة والألفة والحمية والظلم والعصبية والانتصار للهوى ، ومقتضى ذلك أن يشد بعضهم أزر بعض وأن تسود بينهم الألفة .

الوصية الخامسة :

(**وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ**) فعليهم أن يمعنوا النظر فيما أنعم عليهم، من الألفة والاجتماع على الإسلام، بعد أن كانوا متعادين يقتل بعضهم بعضاً لأوهى الأسباب ،لا يأمن أحدهم على نفسه أو ماله أو عرضه ، فصار أعداء الأمس (الأوس والخزرج) بنعمة الله إخواناً ، بعد أن كانوا على وشك أن يتردوا في هاوية جهنم .

وبمثل هذا البيان الحكيم، يعرفكم الله مواقع نعمه عليكم، لتشكروها بالمحافظة على وحدتكم وإخوتكم ،وعدم تعريضها للتصدع والتفرق والخلاف لعلكم تهتدون.

المناقشة

١ — ما الذي تضمنته الآيات من أحكام وأمور إجمالا ؟

٢ — ما سبب نزول هذه الآيات ؟

٣ — يحذر الله عباده المؤمنين من طاعة أهل الكتاب ويوضح لهم النتيجة السيئة المترتبة على ذلك فما هي ؟

٤ — الكفر يوجب الهلاك في الدنيا والآخرة . بين ذلك .

٥ — استبعد الله أن يرتد المسلمون إلى الكفر لأمرين يمنعان منه فما هما ؟

٦ — ما عاقبة من يستمسك بدين الله وكتابه ويعتصم بطاعته ؟

٧ — « يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته و » الخ .. أوصى الله عباده المؤمنين في هذه الآية بأمور خمسة فيهن عصمة ونجاة فما هي ؟

٨ — ما المراد بأهل الكتاب في الآية ؟ وما معنى قوله تعالى (يردوكم بعد إيمانكم كافرين) ؟ .

٦ـ من سورة آل عمران «ب»

وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ
وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ
بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾
يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ
وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا
كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ
فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ
نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾
وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ
ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾

معاني المفردات

الكلمة	معناها
الأمة	الجماعة المؤلفة من أفراد لهم رابطة تضمهم .
الخير	ما فيه صلاح الناس في الدين والدنيا . وجماعة الإسلام .
المعروف	كل ما يأمر به الشرع .
المنكر	كل ما ينهى عنه الشرع .
تفرقوا واختلفوا	هم اليهود والنصارى، وقعت بينهم الفرقة لتعاديهم، واختلفوا في الدين فكفر بعضهم بعضاً
البينات	الأدلة التي تجمع كلمتهم على دين واحد وهو الاسلام .
اسودت وجوههم	اغتموا فاغبرّ لون وجوههم ، وتبدلت صورهم
ابيضت وجوههم	استبشروا فتهللت وجوههم وأسفرت .
ففي رحمة الله	ففي ثوابه ونعيمه الخالد .
خالدون	باقون دائمون — لا يجوز عليهم موت ولا فناء
للعالمين	لعباده جميعاً .

المقاصد

تضمنت هذه الآيات بقية الوصايا التي وصى الله بها المؤمنين في الآيات السابقة، حتى يكونوا في عصمة من التفرق والاختلاف ، وحتى يعالجوا بها ما قد يقع بينهم كذلك ، وأهم هذه الوصايا :

١ ــ وجوب قيام كل مسلم ومسلمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٢ ــ تأكيد التحذير بيوم الحساب لينتهي الظالم ، ويزداد المحسن .

٣ ــ آيات القرآن الكريم وما تضمنته من وعد ووعيد كلها حق وصدق .

الشرح

بعدما وصى الله المؤمنين في الآيات السابقة بوصايا خمس فيهن عصمة من من التفرق والخلاف ذكر هنا بقيتها وهي :

١ ــ الوصية السادسة :

ضرورة وجود جماعة من المؤمنين ، تقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، تبادر بتنقية مجتمع المسلمين من كل ما يدعو إلى الفرقة أو الانحراف ، أولا بأول واصلاح ذات البين إذا وقع الخلاف فقال تعالى: **(وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ)** فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صمام أمن الحياة وضمان لسعادة الفرد والمجتمع .

وهو عصمة للأمة ووقاية لها من كل ما يوهنها ، وسبب لقوتها ووحدتها ولهذا وجّه الله للمؤمنين خطابه التكليفي ، فأوجب عليهم أمرين .

١ ــ أن يأمر كل فرد منهم بالمعروف وينهى عن المنكر جهد استطاعته .

٢ ــ أن يعمل على ايجاد طائفة تتخصص بالدعوة إلى الإسلام ، وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

تقوم بهذه الفريضة (تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر)

وذلك بأن يكون لكل فرد منهم إرادة وعمل في إيجادها، وانتخابها ومراقبة سيرها بحسب الاستطاعة، وقد كان المسلمون جميعاً في الصدر الأول على هذا النهج من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع العامة والحكام (فقد خطب عمر بن الخطاب على المنبر وكان مما قال : «**إذَا رَأَيْتُمْ فِيَّ اعْوِجَاجاً فَقَوِّمُوهُ**» ، فقام أحد الأعراب فقال : (**لو رأينا فيك اعْوِجَاجاً لَقَوَّمْنَاهُ بسيوفنا**) .

وكان الخاصة من الصحابة متكاتفين في أداء هذا الواجب ، يشعر كل منهم أنه مسؤول عن تبليغ دعوة الإسلام جهده، وعن حراسة تعاليمه وآدابه وأحكامه ومقاومة كل من يمس شيئاً من عقائده ومصالح أهله، وهؤلاء الجماعة الذين يقومون بهذه الدعوة يقومون بأعمال الوقاية الأخلاقية للأمة وحرمتها ووحدتها . وبأعمال الإنقاذ، إذ يسارعون إلى رتق كل فتق، وسد كل ثغرة ينفذ منها أعداء الاسلام ، ويصلحون ذات بينها ، ويردون إلى الجماعة كل شارد عنها .

فإذا فعلوا ذلك كثر في الأمة الخير وقل الشر فيها ، وائتلفت قلوب أهليها وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ، وسعدوا في دنياهم وآخرتهم وتحقق لهم الفلاح المشار إليه في قوله تعالى : (**وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**) .

٢ — الوصية السابعة :

تأكيد التحذير من التفرق (**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**) في الآية السابقة حذر الله المسلمين أن يتفرقوا أو تختلف قلوبهم فتتعادى وتتقاطع ،وفي هذه الآية يحذرهم أن يتشبهوا بالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وهم اليهود والنصارى الذين اختلفوا في دينهم، وكانوا شيعا كل شيعة تكفر الأخرى وتلعنها . ولذا تعادوا واقتتلوا واختلفوا بعد أن قامت الأدلة القوية التي تجمعهم على الحق ،

فلا تكونوا مثلهم فيحل بكم ما حل بهم من العذاب والدمار ، وهذا العذاب العظيم الذي توعدهم الله به في الآية يشمل خسران الدنيا وخسران الآخرة ، أما الدنيا فلأن بأسهم يكون بينهم شديداً، فيشقى بعضهم ببعض، ويبتلون بالأمم التي تطمع في الضعفاء فتذيقهم الخزي والنكال، وأما الآخرة فـ (**لهم عذابٌ عظيمٌ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ**) أي تبيض وجوه وتشرق لما تعلم من حسن العاقبة لأنهم آمنوا بالله، واعتصموا به وعملوا الخير الأمة ووحدتها، فأولئك تتلألأ وجوههم بهجة وسروراً حين تظهر لهم آثار اتفاقهم واعتصامهم ، وتسود وجوه الكافرين المنافقين المختلفين وتربدّ عبوساً وظلاماً، لما ترى من سوء العاقبة. ويقال للذين اسودت وجوههم وهم الكفار: أ أنتم كفرتم بعد إيمانكم ؟ فقد كنتم تعترفون بما في كتبكم من بعث محمد صلى الله عليه وسلم ، فلما بعث أنكرتم عليه وكفرتم به ، أو أ أنتم ارتددتم بعد الايمان ، أو نافقتم ؟ فجزاؤكم اليوم العذاب الشديد بكفركم .

ويقال للذين ابيضت وجوههم باعتصامهم بدينهم وعدم تفرقهم، وهم المؤمنون: أبشروا فإنكم في جنة الله ورحمته ودار كرامته خالدون .

٣ — ثم قرر الله أن آيات القرآن وما تضمنته من وعد ووعيد كلها حق وصدق فلا عذر للأمة إذا اتبعت سنن من قبلها، فتفرقت في الدين وصارت شيعاً، فاستحقت عذاب الله ومقته، والله لا يعذب أحداً من عباده من غير أن يرتكب ذنباً، ولا يحل عذابه بأمة إلا بذنب فشا فيها فزحزحها عن الصراط المستقيم .

ثم ذكر ما هو كالبرهان على هذا وعلى نفي الظلم عنه تعالى فقال : (**وَلله مَا في السّموات وَمَا في الأرْضِ وَإلى اللهِ تُرْجَعُ الأمُورُ**) أي أنه تعالى مالك الملك ومرجع كل شيء إليه ، فالكل عباده وخلقه فلن يظلم أحداً منهم ، وما به حاجة

إلى ظلم أحد، وسيلقى كل جزاءه على قدر إحسانه أو إساءته (وَتُوفّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) .

المناقشة

١ — ما الذي تضمنته الآيات ؟

٢ — الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صمام أمن الحياة . فلماذا ؟

٣ — ما النتيجة التي تعود على الأمة من القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟

٤ — اشرح معنى قوله تعالى: (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) الخ مبيناً المراد بالاختلاف وما يترتب عليه .

٥ — يوم القيامة تفيض وجوه المؤمنين نضارة وإشراقاً وتسود وجوه الكافرين وتربدّ عبوساً واظلاماً . فلماذا ؟ . وماذا يقال للمؤمنين والكافرين ؟

٦ — وضح معنى قوله تعالى (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق) الخ .

وبين لماذا ختم الله الآيات بقوله: (ولله ما في السموات وما في الأرض وإلى الله ترجع الامور) ؟ .

إلى ظلم أحد، وسيلقى كل جزاءه على قدر إحسانه أو إساءته (وَتُوفّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) .

المناقشة

١ ــ ما الذي تضمنته الآيات ؟

٢ ــ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صمام أمن الحياة . فلماذا ؟

٣ ــ ما النتيجة التي تعود على الأمة من القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟

٤ ــ اشرح معنى قوله تعالى: (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) الخ مبيناً المراد بالاختلاف وما يترتب عليه .

٥ ــ يوم القيامة تفيض وجوه المؤمنين نضارة وإشراقاً وتسود وجوه الكافرين وتربدّ عبوساً واظلاماً . فلماذا ؟ . وماذا يقال للمؤمنين والكافرين ؟

٦ ــ وضح معنى قوله تعالى (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق) الخ .

وبين لماذا ختم الله الآيات بقوله: (ولله ما في السموات وما في الأرض وإلى الله ترجع الامور) ؟ .

كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ
أَهْلُ الْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ
الْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ
يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ
أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَآءُو
بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ
ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾

معاني المفردات

الكلمة	معناهـــا
كنتم خير أمة	وجدتم وخلقتم ، والخطاب للمهاجرين والأنصار ومن صنع مثل صنيعهم .
أخرجت للناس	أظهرت حتى تميزت وعرفت .
تأمرون بالمعروف	تدعون إلى الإسلام وكل ما أمر به من خير .
وتنهون عن المنكر	وتدعون إلى ترك الكفر ، وكل أمر محرم نهى عنه الشارع .
وتؤمنون بالله	إيماناً صادقاً ، يظهر في طاعتكم له ، وجهادكم في سبيله .
ولو آمن أهل الكتاب	ولو آمن جميع أهل الكتاب مـــن اليهود والنصارى
إلا أذى	الأذى الضرر اليسير ، والمـــراد إلا ضررا لايتعدى طعناً في الدين أونحوه .
يولوكم الأدبار	يعودوا منهزمين ، من غير أن يضروكم شيئاً .
ثم لا ينصرون	ثم لا يمنعون منكم بقوتهم ، أو بمعاونة غيرهم ولا ينصرون عليكم .
ضربت عليهم الذلة	قدر على اليهود أن يكونوا أذلاء في الأرض ، لا سلطان لهم إلا بالشروط المذكورة في الآية.
أينما ثقفوا	في أي مكان وجدوا .
إلا بحبل من الله	حبل الله عهده ، والمراد إلا إذا كانـــوا مستمسكين بدين الله وعهده .
وحبل من الناس	وميثاق بينهم وبين الناس.

وباءوا بغضب من الله	باءوا لبثوا وحلوا فيه، من المباءة وهو المكان. والمراد استوجبوا غضب الله لسوء فعلهم .
وضربت عليهم المسكنة	وقدر عليهم أن يخافوا الفقر دائماً، وإن كانوا على غنى .
وكانوا يعتدون	وكانوا يتعدون حدود الله ولا يقفون عندها .

المقاصد

تضمنت الآيات ما يأتي :

١ ــ تقرير أن الأمة الإسلامية أفضل الأمم ، وبيان أن السبب في أفضليتها قيامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإيمانها بالله .

٢ ــ التهوين من شأن اليهود في نفوس المسلمين، وإبراز حقيقتهم الضعيفة بسبب كفرهم وعصيانهم وجرائمهم .

٣ ــ اليهود الذين كذبوا محمد أكتب الله عليهم الذلة ، والمسكنة واستحقوا غضب الله في الدنيا والآخرة .

الشرح

١ ــ أفضل الأمم :

قال تعالى (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ) الخ يمتدح الله تعالى الأمة الإسلامية، ويشيد بفضلها ويقرر أنها خير أمة أخرجت للناس لا محاباة ولا ادعاء، ولكن لأنها تحمل مؤهلات هذه الخيرية والأفضلية، وهي تتلخص في ثلاث (١) لأنها تأمر بالمعروف

(٢) وتنهى عن المنكر (٣) وتؤمن بالله إيماناً صادقاً يظهر أثره في النفوس، فيزعها عن الشر ويصرفها إلى الخير ، فهي أمة صلحت في ذات نفسها وتعمل مخلصة جاهدة لإصلاح غيرها **(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)** .

وغيرها من الأمم قد غلب عليها الأنانية، وحب الدنيا والشر ، والفساد، فلا تأمر بمعروف ، ولا تنهى عن منكر ، ولا تؤمن ايماناً صحيحاً بالله، ومع ذلك يزعم اليهود أنهم شعب الله المختار ، ويزعم النصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه .

وهذا الوصف بالخيرية يصدق على الذين خوطبوا به أولا ، وهم النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه الذين كانوا معه وقت التنزيل ، فهم الذين كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، ولا يخافون في الله لومة لائم، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في سبيل الله وهداية البشر ، وأخراجهم من الظلمات الى النور ، وصبغ الايمان حياتهم وسلوكهم ، ويصدق على من اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات . سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خير الناس فقال « **آمَرَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَتْقَاهُمْ للهِ وَأَوْصَلَهُمْ لِلرَّحِمِ** » .

لقد وصف الله الأمة الإسلامية بهذه الخيرية بقوله : « **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ** » لبيان أنها لا يكون لها وجود حقيقي إلا إذا توافرت فيها هذه السمات الثلاث التي تعرف بها في المجتمع الإنساني ، فإما أن تقوم بالأمر بالمعروف والنهي عى المنكر —مع الإيمان بالله— فهي موجودة وهي مسلمة وهي خير أمة ، وإما ألا تقوم بشيء من هذا فهي غير موجودة ، وغير متحققة فيها صفة الإسلام ، كما لا تثبت لها هذه الأفضلية والخيرية .

— وقدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله في الذكر مع أن الايمان مقدم على كل الطاعات لأنهما آية الإيمان، ولأن فضلها على الأمم لا يظهر بمجرد الايمان لأنه من عمل القلوب، ولكن بالنفع الواصل إليهم وبما تقدم لهم من خير، ولا خير أجل من عملها لهدايتهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر —

فلو أن أهل الكتاب من اليهود والنصارى آمنوا بما جاء به محمد ﷺ إيماناً صحيحاً وعنوا بهداية البشر، كما عني المسلمون لكان خيراً لهم مما يدعونه من أفضلية كاذبة وانتساب الى الله باطل وإيمان لا يثمر خيراً، ولا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر. فلو آمنوا لكان خيراً لهم في الدنيا يستعصمون به من الفرقة، وفي الآخرة من سوء المصير الذي ينتظرهم.

ولقد آمن من أهل الكتاب قلة أخلصوا لله دينهم، كعبدالله بن سلام ورهطه من اليهود، والنجاشي ورهطه من النصارى، وأكثرهم فاسقون خارجون عن طاعة الله.

٢ — التعريف بحقيقة اليهود :

ولما كان بعض المسلمين ما يزالون على صلات متنوعة باليهود في المدينة، وكان اليهود يومئذ طائفة يحسب حسابها بعض المسلمين، فقد تكفل القرآن الكريم بتهوين شأن هؤلاء الفاسقين في نفوس المسلمين، وإبراز حقيقتهم الضعيفة الواهنة بسبب كفرهم وأنانيتهم وجرائمهم وعصيانهم وتفرقهم وما كتب عليهم من الذلة والمسكنة، فبيّن أن هؤلاء الفاسقين يحاولون الاضرار بكم، ولكنهم على حقدهم وضراوتهم لن يضروكم ضرراً يذكر، إنما هو الأذى العارض في الصدام، والألم الذاهب مع الأيام بالإرجاف والكلام، فلن يتجاوز إضرارهم أن يقولوا عزير بن الله والمسيح بن الله، أو الطعن في الدين أو تحريف النصوص أو الاحتيال عليكم

لإضلالكم ، أو للإيقاع بينكم ، ومع ذلك فإن كان في هذا ضرر عليكم فإنه واقع بهم ، وهؤلاء الطوائف من اليهود والنصارى حين يشتبكون معكم في صدام وقتال فالهزيمة مكتوبة عليهم ويستدبرونكم هرباً ، والنصر محقق لكم أبداً ما داموا على فسقهم ودمتم على إيمانكم وفضلكم وذلك معنى قوله تعالى : « **لَنْ يَضُرُّوكُمْ إلا أذًى وَإنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ** » .

٣ – ضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ أيْنَمَا ثُقِفُوا إلا بِحَبْلٍ مِنَ اللهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ » .

اليهود الذين كذبوا محمداً – صلى الله عليه وسلم – كتب الله عليهم الذلة أينما وجدوا من بلاد المسلمين أو المشركين ، فلا يأمنون على أنفسهم وأموالهم وأولادهم في بلاد المسلمين أو في جوارهم إلا بعهد من الله ، وهو ما قررته الشريعة لأهل الذمة إذا دخلوا في حكمها من المساواة في الحقوق ، وعهد من الناس وهو ما تقتضيه المشاركة في المعيشة ، من احتياجهم إليكم واحتياجكم إليهم في بعض الأمور ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحسن معاملتهم فما أثمر ذلك فيهم خيراً ، واستحقوا غضب الله عليهم بالزامهم الذلة والمسكنة في الدنيا والعذاب في الآخرة ، فهم أبداً في خوف من الفاقة والفقر ، وإن كانوا ذوي مال كثير .

ثم كشف القرآن الكريم في الآية سبب هذا القدر المكتوب على اليهود من الذلة والمسكنة واستحقاقهم للغضب الإلهي . فإذا هو سبب عام يمكن أن تنطبق آثاره على كل قوم مهما تكن دعواهم في الدين . إنه الكفر بآيات الله وقتل الأنبياء بغير حق ظلماً وعدواناً ، والمعصية والطغيان ، وقد أخبرنا الله بما فعله ويفعله بهم في الدنيا والآخرة ليكون لنا في ذلك عظة وعبرة .

المناقشة

١ ــ ما الذي تضمنته الآيات ؟

٢ ــ ما المراد بأهل الكتاب في الآية ؟ وما معنى الأذى ؟ وما المرادبه ؟

٣ ــ يمتدح الله الأمة الاسلامية ويشيد بفضلها على سائر الأمم فلماذا ؟

٤ ــ على من يصدق الوصف بالخيرية في الآية . مستدلا على ما تذكر ؟

٥ ــ لماذا قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله في الذكر مع أن الإيمان مقدم على كل الطاعات ؟

٦ ــ لقد آمن من أهل الكتاب جماعة وحسن إسلامهم اذكر من تعرفه منهم .

٧ ــ اشرح معنى قوله تعالى : « **لَنْ يَضُرُّوكُمْ إلا أذًى وإنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأدْبَارَ ثُمَّ لا يُنْصَرُونَ** » .

٨ ــ لقد تكفل القرآن الكريم بتهوين شأن هؤلاء الفاسقين من اليهود والنصارى في نفوس المسلمين فوضح ذلك .

٩ ــ لقد كشفت الآيات عن سبب هذا القدر المكتوب على اليهود من الذلة والمسكنة واستحقاقهم الغضب الأهلي . فما هو ؟

وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ
مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ
وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ
ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟
أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ
ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾

معاني المفردات

الكلمة	معناها
وسارعوا إلى مغفرة	بادروا باتخاذ أسباب المغفرة وسلوك طريقها .
عرضها السموات والأرض	تصوير لسعتها وعظمتها بأقصى ما يتصوره خيال البشر . وإذا كان هذا هو العرض فما ظنك بالطول .
أعدت	جهزت وهيئت .
للمتقين	الممتثلين أوامر الله المتجنبين نواهيه .
في السراء والضراء	في حالتي اليسر والعسر .
الكاظمين الغيظ	الكاتمين الغيظ في صدورهم غير مندفعين وراء شهوة الانتقام .
العافين عن الناس	الصافحين عمن أساءوا إليهم مع القدرة على الانتقام منهم .
فاحشة	فعلة قبيحة ظاهرة القبح . والمراد المعصية .
ظلموا أنفسهم	بفعل محرم يستحقون العقاب عليه .
فاستغفروا لذنوبهم	تابوا وندموا وطلبوا من الله المغفرة .
ولم يصروا على ما فعلوا	لم يستمروا على فعل المعصية .
وهم يعلمون	يعلمون أنهم أذنبوا وأن الله هو أهل المغفرة .
ونعم أجر العاملين	المغفرة والخلود في الجنة .
العاملين	الذين عملوا لطاعة ربهم ونجاة أنفسهم وخير الناس .

المقاصد

تضمنت هذه الآيات أحكاماً ومقاصد نجملها فيما يلي :

أولا : وجوب المبادرة إلى طلب المغفرة من الله والجنة، وبيان أن الطريق الموصل إلى ذلك هو طريق المتقين .

ثانياً : بيان أوصاف المتقين الذين أعدت لهم الجنة والمغفرة وتتلخص في أربع : الإنفاق في الخير — كظم الغيظ — العفو — التوبة .

ثالثاً : بيان الجزاء العظيم الذي أعده الله لعباده المتقين .

الشرح

وجوب المبادرة إلى المغفرة والجنة :

أمر الله بالمسارعة إلى ذلك في قوله تعالى :

(وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ)، والتعبير بقوله **(سارعُوا)** ينبه الغافلين ويوقظ في المؤمنين مشاعر التقوى، ونوازع الخير، قبل أن تضيع فرصة الحياة ويفوت الأجل ويحل الندم، وفيه ترغيب من الله عز وجل لعباده في المبادرة لطلب المغفرة وما أعده الله للمتقين من ثواب عظيم وجزاء كريم وهو الجنة ، وقوله تعالى : **(أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ)** بيان لمستحقها والطريق المؤدي اليها . وأنه طريق أهل التقوى الذين يرجون رحمته ويخافون عذابه بما ، يقدمونه من عمل صالح يتوفر فيه الاخلاص والنية الصالحة .

٢ — وأما أوصاف المتقين الذين أعد الله لهم جنته ومغفرته، فقد ذكر منها صفات

أربعاً: هي فضائل عملية وثمرة للإيمان والتقوى وصدق اليقين، وكلها تهدف إلى تزكية النفس وصلاح المجتمع وإلى ترابط المسلمين وتآلفهم وتعاونهم .

الوصف الأول : الإنفاق والبذل في الخير والمعروف على النفس والغير ممن تلزمه نفقته أو لا تلزمه وقد بينه الله بقوله **(الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ)** والنفقة في السراء والضراء علاج للحياة من الضيق، وتطهير للنفس من الشح وتنقية لقلوب الفقراء والمحتاجين من الأحقاد، وصلة لما أمر الله به أن يوصل، وتزكية للمال من الكنز والحبس الذي يفسد الحياة، وهو آية صدق الإيمان فإن من ينفق في حالتي اليسر والعسر شخص وثق بالله وبما عنده، وملك الأموال ولم تملكه فسخرها في طاعة الله وخير الناس وصلاح المجتمع .

الوصف الثاني : الكاظمين الغيظ . والكظم صبر النفس وإمساكها على الغيظ وعن الحقد والشر، حتى لا تندفع في ثورتها وانتقامها فتفتك بخصمها وتوقع به، وحتى لا تزداد العداوة ويستشري الشر ويتمزق المجتمع .
وهذا الكظم هو الحلم، وهو سبب لارتقاء النفس إلى درجة أعلى لتعفو وتصفح، وهو ما تضمنه الوصف الآتي الثالث .

الوصف الثالث : العفو عمن أساء، قال تعالى : **(وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ)** وهي درجة أعلى من كظم الغيظ وإمساك النفس عن التشفي والانتقام، وهم لا يتجاوزون عن اساءات الناس فحسب ولكن يعفون مع القدرة على المعاقبة والانتقام . وقد رغب الله في العفو في آيات كثيرة . قال تعالى : **(وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى)** . وقال : « **فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ** » . وقد عقب الله على هذه الأوصاف الثلاثة (البذل والكظم والعفو)

بقوله : (وَاللهُ يُحِبُّ المُحْسِنِينَ) ترغيباً فيها وتنويهاً بفضلها، وأنها من الاحسان الذي يحب الله أهله، وإشارة إلى درجة فوقها أجل وأعلى منها — لم يكلفنا الله بها فإنها فوق طاقة الكثير من الناس— ولكن هذا التعقيب يوحي بها ويرغب فيها .

هذه الدرجة هي الإحسان لمن أساء بعد العفو عنه، وهي شيء ثقيل لم يكلفنا الله به ، ولكن أجره جزيل (وَمَا يُلَقَّاهَا إلا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إلا ذُو حَظٍّ عَظِيم) .

الوصف الرابع : التوبة والإنابة في قوله تعالى: (وَالَّذِينَ إذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ) أي ذَكَرُوا الله وأنه يسمع ويرى ، وذكروا موقفهم بين يديه غدا (يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) . فاستيقظ الضمير في قلوبهم فتابوا إلى الله من قريب وندموا على ما وقع منهم واستغفروا الله لذنوبهم ، ولم يصروا على ما فعلوا فاستحقوا الدخول في رحمته ومغفرته وجنته ، وقد جعل الله من أصناف المتقين هذا الصنف من العصاة التائبين ،الذين فعلوا فاحشة، ثم تذكروا الله وندموا وتابوا من بعد ذلك وأصلحوا ، ليعلم الناس أن رحمة الله قريب من المحسنين ، وأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، وفي هذا فتح باب الأمل في رحمة الله للكثير من المذنبين وحث لهم على المبادرة الى التوبة،وتبشير لهم بمغفرة الله.قال تعالى : (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَحِيماً) .

وفي قوله تعالى : (وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا الله) ترغيب في طلب المغفرة

من الله ودلالة على طريقها ، وفتح لباب رحمة الله على مصراعيه أمام النفس الآثمة حتى تفيء إلى حمى الله الآمن ، فهو وحده الذي يملك المغفرة **(وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ)** .

٣ — جزاء المتقين : **(أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ)** وأي جزاء أوفى من هذا الجزاء الذي أعده الله للمتقين الذين اتصفوا بهذه الصفات ووصلوا إلى أرقى الدرجات من السمو والكمال والتوفيق الإلهي ، أولئك لهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار لهم فيها نعيم مقيم **(أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا)** ونعم أجر العاملين الذين عملوا لطاعة ربهم ونجاة أنفسهم وخير الناس .

المناقشة

١ — تضمنت هذه الآيات أحكاماً ومقاصد . اذكرها اجمالا .

٢ — وضح معنى كل من (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم) . (وفي السراء والضراء) . (ظلموا أنفسهم) .

٣ — أمر الله (بالمسارعة) إلى طلب المغفرة والجنة . فما حكمة ذلك ؟

٤ — وصف الله المتقين في هذه الآيات بأوصاف أربع فبينها ؟ وكيف ألحق الله العصاة التائبين بالمتقين الطيبين ؟

٥ — ما المقصود بقوله تعالى : (ومن يغفر الذنوب إلا الله) ؟

٦ — في قوله تعالى : (والله يحب المحسنين) اشارة إلى درجة أعلى من العفو فماهي؟

٧ — ما جزاء المتقين ؟ وبماذا وصف هذا الجزاء ؟

٩ـ من سورة النساء «١»

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

معاني المفردات

الكلمة	معناها
من نفس واحدة	من شخص واحد هو آدم عليه السلام
بث منهما	نشر من آدم وحواء
تساءلون به	يسأل بعضكم بعضاً فيقول: أسألك بالله أن تفعل كذا .
والأرحام	جمع رحم وهو القرابة من جهة الأب أو الأم والمراد (صِلُوا الأرحام) .
رقيباً	مشرفاً على أعمالكم فيجازيكم عليها .

المقاصد

تضمنت هذه الآية الكريمة أحكاماً وقواعد تتعلق بالفرد والأسرة نجملها فيما يلي :

أولا : عموم رسالة الإسلام وأنها موجهة إلى الناس جميعاً .

ثانياً : وجوب تقوى الله وأنها عصمة وشكر لولي النعمة .

ثالثاً : تقرير وحدة البشر والمساواة بينهم في الأصل والنشأة .

رابعاً : تقرير كرامة المرأة وأنها شطر مكمل للرجل .

خامساً : تأكيد الأمر بتقوى الله ؛ فإن تقواه أمان في الحياة .

سادساً : وجوب صلة الأرحام وتقواها .

الشرح

١ — عموم رسالة الإسلام في قوله تعالى (**يَأَيُّهَا النَّاسُ**) فإن النداء هنا والخطاب للناس جميعاً ، فهو لا يخاطب جنساً ولا نوعاً ولا أمة ، ولا عمّالا ولا فلاحين ولا طبقة ، وإنما يخاطب الناس جميعاً ، عربهم وعجمهم ، وأسودهم وأبيضهم الخ . ليقدم لهم ما ينفعهم من هداية وأحكام وقواعد ، لا زمة للجنس البشري كله لا غنى له عنها أهمها :

٢ — وجوب تقوى الله عز وجل ، فإن تقوى الله عصمة للفرد ، ووقاية للمجتمع ، وحق لولي النعمة وذلك في قوله تعالى (**اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمُ الخ**) أي احذروا أن تخالفوا أمر ربكم ، فإنه لا يأمركم إلا بما فيه مصلحتكم لأنه مربيكم وخالقكم ، وولي أمركم والحفيظ عليكم ، فاتقوا سخطه وأدوا حقه

واتخذوا من طاعتكم وصالح أعمالكم وقاية من عذابه ومقته ، وتقوى الله عز وجل هي وصيته إلينا وإلى من كان قبلنا ، قال تعالى : (**وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ**) وكيف لا يتقي الناس ربهم وهم محتاجون إليه في كل لحظة ، بيده أرزاقهم وأجلهم وإليه المصير .

وقد علل الله سبحانه وتعالى الأمر بتقواه أيضاً بقوله (**الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ**) أي الذي أنعم عليكم فخلقكم متساوين في الأصل والنشأة ، ومتساوين في النسب والانتماء لآدم وحواء ، وجعلكم أخوة وذوى رحم وقربى مهما تباعدت أنسابكم واختلفت ألوانكم ، ولو شاء سبحانه لخلقكم ابتداء من أنفس شتى ، فلا تجمعكم رحم ولا يكون بينكم مودة أو رحمة ، وتلك نعمة من الله عليكم تستوجب الشكر وتستلزم التقوى .

٣ — تقرير وحدة البشر والمساواة بينهم في أصل النشأة ، فإن الله جل شأنه يذكر الناس بأنه خلقهم جميعاً من نفس واحدة ، هي آدم عليه السلام وخلق منها زوجها ، وأنشأ من آدم وحواء كثيراً من الرجال والنساء ، انتشروا في الأرض فسكنوها وعمروها ، وفي هذا تقرير لوحدة الجنس البشري ، وتقرير للمساواة والأخوة العامة في الإنسانية ، وهو معنى لم يقرره غير الاسلام ، ولم يدع إليه غير القرآن ، ولم ينفذه غير المسلمين ، ولم تصل إليه بعد هذه الحضارة الحديثة القائمة على الوثنية والعصبية وفوارق اللون والدم والطبقة ، وعلى نظرية التطور وأن أصل الإنسان قرد .

٤ — تقرير كرامة المرأة وقيمتها في قوله تعالى (**وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا**) فقد قررت الآية أنها خلقت من النفس الواحدة فطرة وطبعاً ، وجعلت

مكملة لها وزوجها ، فهما سواء لا يفترقان إلا في الاستعداد والوظيفة ، وكل ميسر لما خلق له . وفي ذلك رد على الذين احتقروا المرأة قديماً، واعتبروها رجساً، وكانوا يتجادلون هل هي إنسان أو شيطان، وفيه رد أيضاً على الذين خدعوها حديثاً بكلمات الإغراء والاطراء ، والحرية والمساواة، ليخرجوها إلى الشارع ليتخذوها لهواً ولعباً ومتاعاً حراما .

٥ ــ تأكيد تقوى الله : ثم أكد الله في الآية الأمر بالتقوى فقال : (**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ**) أي أطيعوه واحذروه ووقروه وعظموه، فإنكم تتساءلون به، يسأل أحدكم أخاه باسمه أو يشهد الله على عقده، فاتقوه فانكم بخير ما اتقيمتموه وعظمتموه ، فبتقواه يقضي سؤلكم وتوفى عقودكم .

٦ ــ وجوب صلة الأرحام : ثم أمر الله سبحانه بصلة الأرحام بأسلوب عجيب هو الأمر بتقواه في قوله تعالى (**وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ**) أي اتقوا الأرحام أن تقطعوها، فالأرحام في الآية معطوفة على (الله) وتقوى الأرحام هنا تتناول التودد والإحسان إليهم والعطف عليهم ، ومعونتهم في كل ما يحتاجون إليه، وعدم المساس بمشاعرهم بما يؤذيهم ويخدش كرامتهم أو حياءهم .

فإذا كان الناس جميعاً من أصل واحد فإن بينهم رحما عامة في الإنسانية فليصلوها، ورحماً خاصة قريبة للانسان من جهة أبية وأمه، وهي أحق بأن يصلوها حتى يظل الرحم والصلة باقية . وقد ختم الله عز وجل الآية الكريمة بقوله (**إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**) ، يشير إلى أنه لا يشرع لنا إلا ما فيه خيرنا ومصلحتنا، وما فيه حفظنا، فهو العليم الخبير بما ينفعنا، وهو أيضاً الرقيب على أعمال العباد جميعاً وإليه المصير فسيجازيهم بما عملوا .

المناقشة

١ — اذكر ما تضمنته هذه الآيات الكريمة من أحكام وقواعد اجمالا .

٢ — رسالة الاسلام عامة ، وضح ذلك ، وما دليل العموم من الآية ؟

٣ — تقوى الله وصية إلينا جميعاً وإلى من قبلنا ، فما معنى التقوى ؟ وبم تكون ؟ وما دليلها في الأمم السابقة ؟ ولماذا علل الله أمره بالتقوى بقوله (الذي خلقكم من نفس واحدة) ؟

٤ — قررت الآية وحدة الأصل والنشأة للإنسان فوضح ذلك ، مبيناً فضل الإسلام في تقرير هذه القاعدة .

٥ — المرأة شطر مكمل للرجل لها حريتها وكرامتها ، بين كيف قررت الآية هذا الحق ؟

٦ — أكد الله الأمر بالتقوى فما حكمة ذلك ؟

٧ — أمر الله بصلة الأرحام وتقواها فما هي الصلة المأمور بها ؟ ومن هم الأرحام ؟ وما الحكمة في التعبير عن وجوب صلتها بالأمر بتقواها في قوله (واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) ؟

٨ — ختم الله الآية الكريمة بقوله (إن الله كان عليكم رقيبا) فما المعنى الذي يشير إليه هذا الختم الكريم ؟

١٠ - من سورة النساء « ب »

وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟
ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ
إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾

معاني المفردات

الكلمة	معناها
اليتامى	جمع يتيم وهو من مات أبوه قبل أن يبلغ سن الرشد .
الخبيث	الرديء ، والمراد منه الحرام .
الطيب	الحسن ، والمراد منه الحلال .
ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم	أي لا تضموا أموالهم إلى أموالكم جوراً وظلماً
حوباً كبيرا	إثماً وذنباً كبيرا .

المقاصد

تضمنت هذه الآية الكريمة الأمر بالمحافظة على أموال اليتامى، وحرمت أمرين من التصرفات التي ما أكثر ما يقع فيهما الأوصياء .

أ — تحريم استبدال شيء منها بأخس منه .

ب — تحريم خلطها بمال الأوصياء ووجوب تمييزها .

الشرح

في الآية السابقة : قرر الله أن بين الناس جميعاً رحماً وقربى . وأمرهم بتقوى الله والرحم، وكان من مقتضى ذلك أن يتقوه في الضعفاء من أرحامهم خاصة ، وأولاهم اليتامى . ولذلك عقب بقوله: (**وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ**) كأنهم المعنيون بالأرحام فيها .

وفي هذه الآية يأمرهم الله تعالى بإيتاء اليتامى أموالهم ، وكأن المحافظة على أموالهم تقواها التي أوجبها، وكأنها فرع من تقرير الوصاية عليهم، ورعايتهم وتدبير أمورهم، وتنمية أموالهم ومصالحهم، حتى كبروا ولم يبق إلا أن يعطوا أموالهم .

وهنا يأمر الله الأوصياء بتسليم اليتامى أموالهم كاملة موفرة ، لكن ذلك مقيد ببلوغهم الرشد كما سيأتي، والمقصود من الأمر بالإيتاء هنا هو الأمر بالمحافظة عليها حتى تؤدى اليهم في حينها . وقد نهت الآية الكريمة عن أمرين يقع فيهما الأوصياء كثيراً من غلبة الطمع ، أو التهاون وعدم التحرج هما :

تحريم استبدالها ، تحريم خلطها

أ — فأما تحريم استبدالها ، فالمراد تحريم استبدال شيء منها بأخس منه، وقد بين ذلك بقوله: (**وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ**) فعند التسليم قد تشح النفس

وتحاول أن تغالط وتخدع ، فتعطي اليتيم النصيب المفروض ، ولكن في أرض بور أو مكان غير معمور ، أو شجر غير مثمر ، أو عقار غير مغل ، وتؤثر نفسها بالطيب من ذلك كله ، فنهى الله عن ذلك وحذر منه .

ب — وأما تحريم خلطها بمال الأوصياء ووجوب تمييزها فقد بينه بقوله تعالى **(وَلا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ)** فإن ضم المالين ذريعة للجور والطمع ، وأكل أموال اليتامى بالباطل ذنب عظيم ، وخيم العاقبة في الدنيا والآخرة قال تعالى : **(إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا)** وهو بهذا يضع حاجزاً قوياً بين أموال اليتامى وأطماع الأوصياء ، فلا يتجرؤون عليها . ولا يرتكبون إثماً وظلماً عظيماً حذر الله منه ، ووصفه بأنه **(كَانَ حُوبًا كَبِيرًا)** .

المناقشة

١ — المحافظة على حقوق اليتامى من التقوى المأمور بها . وضح ذلك .

٢ — أوجب الاسلام على الأوصياء عدم خلط أموالهم بأموال اليتامى . فما الحكمة من ذلك ؟ وما الحقوق الواجبة لليتامى ؟ ومتى تدفع اليهم أموالهم ؟

٣ — أمر الله بتمييز أموال اليتامى وعدم خلطها ، فما الحكمة من ذلك ؟

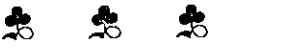

١١ـ من سورة النساء «٤»

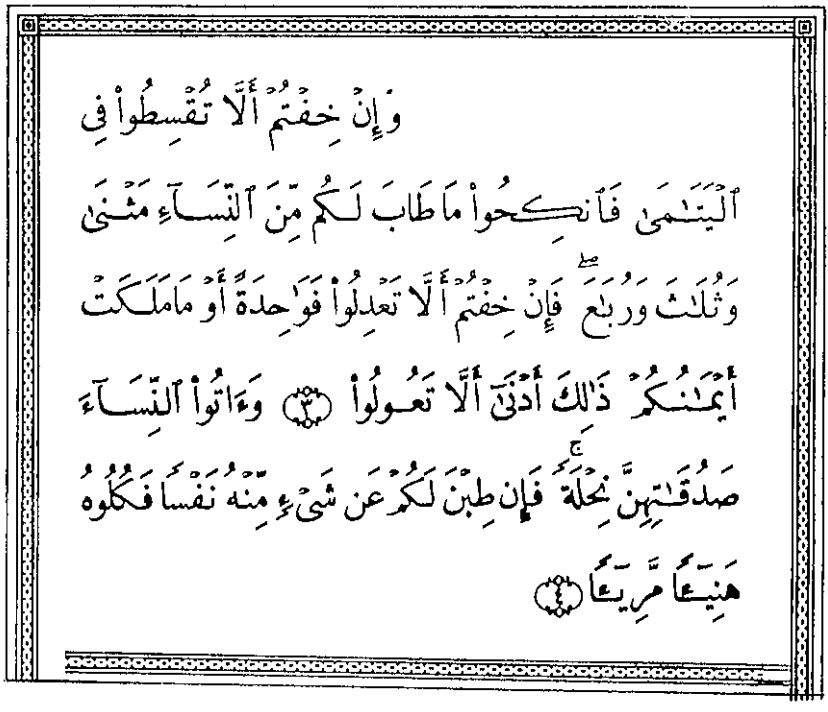
وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى
ٱلْيَتَـٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ
وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَـٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴿٣﴾ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ
صَدُقَـٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ
هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾

معاني المفردات

الكلمة	معنـــاها
ألا تقسطوا	ألا تعدلوا، من أقسط بمعنى عدل ولم يظلم ، أما قسط فمعناها ظلم وجار .
فانكحوا	فتزوجوا .
ما طاب لكم	ما صلح أو ما مال إليه القلب وعده طيباً .
فإن خفتم ألا تعدلوا	فإن خفتم ألا تقيموا العدل بين الزوجات في النفقة والمبيت .
أو ما ملكت أيمانكم	أو اقتصروا على ما ملكتموه من الإماء .
أدنى	أقرب .
ألا تعولوا	ألا تجوروا وتظلموا .
صدقاتهن	مهورهن .
نحلة	النحلة العطية ، يقال نحلته نحلة حسنة أي أعطيته عطية حسنة ، والنحلة لا تكون إلا عن طيب نفس ، والمراد وآتوا النساء مهورهن المفروضة عن طيب نفس .
فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً	فإن طابت نفوسهن وتنازلن لكم عن شيء من المهر فخذوه وأنفقوه حلالا طيباً .

المقاصد

تضمنت هاتان الآيتان أحكاماً ومقاصد نجملها فيما يأتي :

أولا : تقييد تعدد الزوجات بأربع ، وكان للرجل في الجاهلية أن يعدد كما يشاء .

ثانياً : اشتراط العدل بين الزوجات لجواز الإباحة .

ثالثاً : وجوب الاقتصار على واحدة إذا خيف عدم العدل .

رابعاً : وجوب المهر وبيان أنه حق خالص للزوجة ، ولا يجوز للزوج منعه أو الانتفاع به إلا برضاها .

خامساً : جواز انتفاع الزوج بشيء من المهر إذا طابت نفس الزوجة بذلك .

الشرح

سبب نزول الآية الأولى :

(في الصحيحين عن عروة بن الزبير . أنه سأل خالته عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن هذه الآية فقالت : يا بن أختي ، هذه اليتيمة تكون في حجر وليها يشركها في ماله ، ويعجبه مالها وجمالها ، فيريد أن يتزوجها من غير أن يقسط في صداقها ، فلا يعطيها مثل أترابها من الصداق ، فنهوا عن ذلك ، وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء مثنى وثلاث ورباع .

لما أمر الله تعالى في الآيتين السابقتين بتقوى الله في الأرحام ، والمحافظة على أموال اليتامى وأدائها لهم كاملة وافية ، وحذر أشد التحذير من تبديلها أو أكلها تحرج المسلمون من ذلك ، وخافوا وعزلوهم وتحاموا أموالهم ، فنبههم الله عز وجل في هذه الآية إلى أن هناك صنفاً آخر ، جدير بالرعاية ، والمحافظة التامة على حقه

وحرمته كاليتامى سواء . هذا الصنف هو النساء الزوجات ،فوصى بهن في أمرين ما أكثر ما يفرط الرجال فيهما هما :

١ — العدل بينهن ٢ — وإيتاؤهن مهورهن . فقال تعالى : « **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا** » الخ أي فخافوا ألا تقسطوا مع زوجاتكم ،وألا تعدلوا في القسم بينهن ،إذا طاب لكم أن تنكحوا أكثر من واحدة ، ثم قيد التعدد بأربع فقال : « **فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ** » وشرط العدل لذلك فقال : « **وَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً** » فأوجب العدل شرطاً أولياً بينهن ،حتى في الكلمة والبسمة والنظرة، فإن أعجزهم ذلك وخافوا ألا يعدلوا، فلا يحل لهم التعدد. وعليهم الاقتصار على زوجة واحدة ، ذلك حتى لا يقعوا في ظلم ، فإن الله لا يحب الظالمين .

وكما أمر الله في الآية السابقة بإيتاء اليتامى أموالهم .أمر هنا بإيتاء النساء مهورهن بلا نقص أو مطل أو محاولة استغلال .

ثم نعود إلى توضيح ما أجملنا من أحكام .

١ — تقييد التعـــدد :

كان الرجل في الجاهلية يتزوج ما شاء من النساء على ما وسعه إمكانه، فجاء الإسلام فقيد هذه الإباحة بأربع كما في الآية الكريمة (**مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ**) . فقد روى البخاري أن غيلان الثقفي أسلم وتحته عشرة نسوة ،فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يختار منهن أربعاً وأن يطلق سائرهن .

وروى أبو داود أن عميرة الأسدي قال : أسلمت وعندي ثماني نسوة فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال اختر منهن أربعاً » .

فقد كانت الإباحة مطلقة عند العرب والعجم على السواء ، فلما جاء الاسلام قيد الإباحة المطلقة التي كانت موجودة ، فهو لم ينشئها من عنده وإنما كانت موجودة فهذبها ونظمها وقيدها ، ووضع لها شرطاً دقيقاً ، شديداً لا يطيقه إلا الصالحون وهو العدل

٢ — اشتراط العدل لجواز التعدد :

وأما الشرط فهو أن يثق المسلم في نفسه العدل بين الزوجتين أو الزوجات في كل ما يلزم لهن من أمور المعيشة . والعدل المطلوب ، هو العدل في المعاملة والنفقة والمعاشرة ، فلا بد أن يعطي كل واحدة منهن حقها كاملا في ذلك ، أما الميل القلبي فلا يملكه ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يحب عائشة أكثر من نسائه جميعاً ، وكان يقول : **(اللّهُمَّ هَذِهِ قِسْمَتِي فِيمَا أَمْلِكُ فَلا تَلُمْنِي فِيمَا تَمْلِكُ وَلا أَمْلِكُ** (١) ومع ذلك كان لا يخصها بشيء إلا إذا استأذن نساءه في ذلك .

الحكمة في إباحة التعدد :

الإسلام دين منطق وفطرة يهدي إلى الحق والى طريق مستقيم ، ويعالج المشاكل بالتي هي أقوم من أقرب طريق ، وأرضاه للحق والعدل والفطرة والعقل ، والواقع المشاهد لليوم ، أن إباحة التعدد هي أشرف وأنظف طريقة يمكن أن يحل بها مشكلة الرجل والمرأة والمجتمع في شتى الحالات المفروضة وبيان ذلك :

١ — أن المرأة قد تكون عقيماً لا تلد .

٢ — أو مريضة لا تستطيع أن تؤدي واجبها كزوجة .

٣ — أو يكون الرجل قد علق قلبه بواحدة من هذا المجتمع الذي انقلب معرضاً للنساء وسوقاً للحومهن ، وهنا نجد أنفسنا أمام احتمالات وحلول :

---

(١) رواه أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه .

فإما أن نفرض على الزوج الحرمان من الولد ومن متاع الدنيا، وقبول الواقع الأليم، أو نفرض عليه أن يطلق زوجته الأولى ليستطيع أن يتزوج وأن يبلغ ما يريد، أو نبيح للرجل أن يتزوج على امرأته ونبيح لها أن تبقى في عصمته .

ولا شك أن هذا هو الحل الطبيعي الفطري، الذي تتحقق به مصلحة الرجل ومصلحة المجتمع في صيانة بيت يوشك أن يتصدع وينهار ، وهذا هو الحل الذي قدمه الإسلام . والحلان السابقان قدمتهما المسيحية والقوانين الوضعية .

والذين كابروا في الحق وصادموا الفطرة وتملقوا المرأة، وحرموا على الرجل التعدد واضطروه للطلاق، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق، انتكسوا وأباحوا له أن يتخذ ما شاء من خليلات وعشيقات، يباركهن المجتمع ويحميهن القانون . (١)

٣ – وجوب الاقتصار على واحدة إذا خيف عدم العدل :

قال تعالى : « **فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلاَّ تَعُولُوا** » وقد جاء في الحديث (من كان له إمرأتان يميل في القسم لإحداهما على الأخرى جاء يوم القيامة يجر أحد شقيه ساقطاً أو مائلا) (٢) .

---

(١) يروى فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود وكيل الأزهر الشريف أنه كان له صديق مرضت زوجته ، وكان يحبها حبا جما وكان يعيش فى بلاد قانونها يحرم التعدد وخشى التعنت والوقوع فى الزنا ، فأشار عليه البعض أن يطلق زوجته ويتزوج غيرها فرفض ، وأخيرا تزوج على زوجته بمشورتها ورضاها سرا ، واتخذ للجديدة سكنا وكان يتردد عليها ، ونمى ذلك للبوليس فاستدعاه ، ووجه اليه تهمة اباحة تعدد الزوجات ومخالفة القانون ، وكانت الادلة قائمة عليه (ايجار المسكن باسمه والماء والنور والتردد الخ) فقال لهم نعم ولكنها خليلتى ، وهنا انقلب تجهم الضابط الى بشاشة وهش له وسلم عليه وودعه بكل حفاوة واحترام . هذه هى العقول التى تعدل على الله، وتريد ان يتبدل دينه وتظهر الفساد فى الارض

(٢) رواه احمد واهل السنة والدارمى وابن حبان والحاكم .

إذا خاف الرجل من نفسه عدم العدل . فحينئذ يجب عليه الاكتفاء بزوجة واحدة، أو ما في ملك اليمين من الإماء ، وقد كان نظاماً قائماً يومئذ معترفاً به، لا سبيل للإسلام إلى تجاهله، فذلك خير للإنسان من التلبس بالظلم والوقوع فيما يغضب الله . ومن الناس من ينظر الى الزواج لاعلى أنه سكن وأمن وبناء أسرة ، بل على أنه إشباع شهوة وقضاء متعة، فيتزوجون أكثر من واحدة، غير ناظرين لإمكانهم تحقيق العدل والمساواة ، ولا قدرة لهم على تحمل تبعات الزوجات والأولاد ، وهؤلاء ناس يسيئون إلى الإسلام، والإسلام بريء من عملهم الذي يترتب عليه ضرر في المجتمع وفساد كبير ، لما يسببه من الأحقاد والضغائن ، وقد ينجب الرجل من زوجاته ذرية لا يستطيع رعايتها وحمايتها وصيانتها، فتتعرض للضياع ، وتضطر إلى التسول والتشرد.

٤ — وجوب المهر وبيان أنه حق وملك للزوجة، لا يجوز للزوج منعه أو الانتفاع به إلا برضاها :

قال تعالى : ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ فأمر الزوج بإعطاء الزوجة مهرها بطيب نفس، ولو لم يشترط في العقد، أو شرط ألامهر لها، فيجب على الرجل مهر المثل، وبيّن لهم أنه حق خالص لهن، فلا يجوز للأزواج أن يمنعوه أو يمطلوه أو يستغلوه . وذلك تشريف للزوجة وتكريم لها واحترام لحقها، وحفظ للمودة بينها وبين الزوج ، ففي المهر معنى الهدية التي توثق الصداقة بين الأصدقاء ، ولعل ذلك السر في تسمية المهور صدقات ، فإنها آية الصدق في المودة ورعاية الحق والحرمة .

٥ — جواز انتفاع الزوج بشيء من المهر إذا طابت نفس الزوجة بذلك :

قال تعالى : ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً

مَرِيئاً » فإذا تنازلت الزوجة، عن شيء من المهر لزوجها وطابت نفسها بذلك، جاز له أن يأخذه ؛ فقد أصبح حلالا طيباً مباركاً فيه .

يروى أن علياً رضي الله عنه كان إذا اشتكى يستوهب فاطمة رضي الله عنها شيئاً من صداقها ، يستطعم منه ، ويستشفي به ، ويستدل بقوله تعالى : « **فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْساً فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً**» فهو يستبشر به ويرجو العافية.

المناقشة

١ — اذكر ما تضمنته هاتان الآيتان من أحكام اجمالا .

٢ — ما سبب نزول قوله تعالى : « وإن خفتم ألا تقسطوا » الآية ؟

٣ — أباح الاسلام تعدد الزوجات بقيد وشرط فما هما ؟

٤ — وضح حكمة إباحة تعدد الزوجات .

٥ — متى يجب الاقتصار على زوجة واحدة ؟ وبماذا عالج الاسلام مشكلة الراغبين في التعدد مع عدم قدرتهم على العدل بين الزوجات ؟

٦ — قد ينشأ عن عدد الزوجات أضرار فما هي ؟ وبماذا عالج الاسلام المشكلة ؟

٧ — ما حكم المهر ؟ ومتى يجوز للزوج أن ينتفع بشيء منه ؟

١٤ـ من سورة النساء «د»

وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ
ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا
مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ
ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ
إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ
وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ
أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾

معاني المفردات

الكلمة	معناها
السفهاء	جمع سفيه ، والسفه الاضطراب والخفة في العقل ، والمراد من لا يحسن التصرف في المال .
أموالكم	أضاف الأموال إلى الناس والأوصياء لأن السفيه فقد بسفاهته حق ولايته على ماله .
وارزقوهم فيها	ثمروها وأنفقوا عليهم منها فهي تتضمن الأمر بتثميرها والانفاق عليهم من غلتها .
وقولوا لهم قولا معروفا	عدوهم بأن تدفعوا إليهم أموالهم إذا بلغوا الرشد
وابتلوا اليتامى	اختبروهم في تصرفاتهم قبل أن تدفعوا إليهم أموالهم .
بلغوا النكاح	سن البلوغ .
آنستم منهم رشدا	أبصرتم منهم صلاحاً في العقل ورأيتم حسن تصرفهم في المال .
إسرافاً	الإسراف : مجاوزة الحد في كل عمل وغلب على الإسراف في الأموال خاصة .
بدارا	مبادرة ومسارعة قبل أن يكبروا فيأخذوها منكم
فليستعفف	العفة ترك ما لا ينبغي من الشهوات ، والمراد فليبالغ في طلب عفة نفسه عن مال اليتيم .
فليأكل بالمعروف	فليأخذ من مال اليتيم بقدر أجره أو حاجته أيهما أدنى .
فأشهدوا عليهم	اجعلوا عليهم شهداء بأنهم تسلموا أموالهم .
حسيباً	رقيباً ومحاسباً .

المقـــاصد

هذه الآيات تتضمن أحكاماً تتعلق بالسفهاء واليتامى نجملها فيما يلي :

أولا : مشروعية الحجر على السفيه ومنعه من التصرف في ماله .

ثانياً : وجوب المحافظة على المال ، وتقرير أنه يؤول للجماعة ، وقوام لها من واجبها صيانته .

ثالثاً : وجوب استثمار أموال السفهاء واليتامى ، والانفاق عليهم منها ، وملاطفتهم

رابعاً : وجوب اختبار تصرفات اليتامى قبل اسناد أمورهم إليهم .

خامساً : تحريم الإسراف في أموال اليتامى أو المبادرة إلى أكلها قبل بلوغهم .

سادساً : وجوب الإشهاد على أموال اليتامى عند تسليمها إليهم .

الشرح

في الآيات السابقة أمر الله سبحانه وتعالى برعاية اليتامى والمحافظة على أموالهم وإيتائها لهم ،وأمر برعاية حقوق النساء والعدل بينهن ، وإيتائهن مهورهن نحلة وفريضة لا تقبل جدلا أو مماطلة أو تحيفاً ، وليس معنى الحرص على أموال الغير ووجوب أدائها أن ندفعها إليهم ولو ليحرقوها ، ... لا ... لا ، فإن رعايتهم هنا تكون بمنعهم من اتلافها سفهاً وتبديدها .

١ — فلذلك جاءت هذه الآيات وفيها يأمر الله عز وجل برعاية طائفة خاصة من الضعفاء هم السفهاء الذين لا يحسنون القيام على أموالهم ، ولا يميزون بين مايضرهم وما ينفعهم ،فأعطى الله الأمة ممثلة في الأولياء والحاكم حق الحجر

عليهم ومنعهم من التصرف في أموالهم حتى لا يبددوها في عبث وباطل صيانة لهؤلاء السفهاء من الضياع ، وللأموال معاً .

٢ — ثم قرر سبحانه أنه جعل هذه الأموال قياماً للناس، فإن نفعها عائد على الجماعة مهما ملكها الأفراد فإذا أساء الأفراد استخدامها وحسن القيام عليها وأنفقوها في سفه وباطل ، فهنا يسلب الله السفهاء حق الولاية على هذا المال وتذبيره ما داموا لم يعرفوا نعمته وحرمته ، ويجعلها الله للأمة ممثلة في الأوصياء ومن يختاره الحاكم ، فمن حق الأمة أن تمنعهم من التبذير والإتلاف وتحجر عليهم .

وهذا هو السر في إضافة أموال السفهاء إلى الأولياء في قوله تعالى : « ولا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَاماً » فهي أموالهم في الأصل، ولكن الله أضافها للأمة لما فقدوا الأهلية ، وقد قررت الآية بهذا :

١ — مشروعية الحجر على السفيه .

٢ — وجوب التكافل والتعاون على البر والتقوى ، والنهي عن المنكر .

٣ — واعتبار الأموال في الأصل لخدمة الجماعة وحق الأمة، فإذا أساء الأفراد استخدامها سلبت ولايتهم عليها وردت للأمة .

ثم تقرر الآية حقين للمحجور عليه فيهما تمام رعايته المادية والأدبية .

٤ — فهي توجب على الأوصياء تثمير ماله والانفاق عليه منه ، في كل ما يلزمه من طعام وشراب وملبس ومسكن وعلاج وتعليم وما تتطلبه أمور الحياة لقوله تعالى (فَارْزُقُوهُمْ فِيهَا) أي ثمروها لهم وأنفقوا عليهم منها .

٥ — وتوجب عليهم التلطف معهم والاحسان اليهم ووعدهم بالحسنى

(وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلا مَعْرُوفاً) وذلك بإشعارهم أنها أموالهم ، وستسلم إليهم عما قريب .

فلله ما أجل ما قدم الإسلام للناس من هدى ورحمة وعدل ونعمة .

وبعد ما وصى الله الأمة برعاية هؤلاء السفهاء الذين لا يحسنون التدبير لأنفسهم عاد يؤكد الوصية باليتامى لنفس الغرض ، وهو ضمان حسن قيامهم على أموالهم ورعاية أمر أنفسهم فقال سبحانه (وَابْتَلُوا الْيَتَامَى) .

فأوجب على الأوصياء لليتامى أموراً هي :

١ — اجراء اختبار لليتامى : قبل أن يدفعوا إليهم أموالهم للتأكد من حسن قيامهم على هذه الأموال ، قال تعالى (وابْتَلُوا الْيَتَامَى) أي إختبروهم في تصرفاتهم واصبروا على إدارتكم لمصالحهم ولا تتعجلوا في إعطائهم الأموال حتى تطمئنوا إلى حسن قيامهم بتدبيرها .

٢ — دفع الأموال ورفع الوصاية : فإذا تم الاختبار وثبت رشدهم ونجاحهم وبلغوا سن النجاح وجب تسليم أموالهم إليهم فهم أحق بها ، قال تعالى : (حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ) أي بالشرطين : الرشد والبلوغ .

٣ — تحريم الإسراف والمبادرة إلى اتلاف المال قبل أن يكبروا : حرم الله على الأوصياء الأكل من أموال اليتامى عن طريق الإسراف في النفقة عليهم ، أو المبادرة إلى أكلها في غفلة منهم قبل أن يتم بلوغهم فيتسلموها — ذلك أن بعض النفوس المريضة قد تطمع في مال هؤلاء الذين هم أجدر بالعطف وأحق بالرحمة — فنهى الله عن ذلك قال تعالى : (وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافاً وَبِدَاراً أَنْ يَكْبَرُوا) .

٤ — وجوب العفة عن مال اليتيم ، والعفة مطلوبة من المسلم في كل حال ، حث عليها الاسلام وأمر بها، حتى يصون المسلم كرامته ودينه ، وتشدد في طلبها وفرضها فرضاً في مال اليتيم خاصة — لأنه أحوج إليها — لذلك أوجب الله على الأغنياء المبالغة فيها وتحريها فقال : (**وَمَنْ كَانَ غَنِياً فَلْيَسْتَعْفِفْ**) أما إذا كان الوصي فقيراً، فله أن يأكل من مال اليتيم . بقدر كفايته وعمله، أيهما أدنى غير متمول ولا طامع وذلك هو المقصود بالمعروف في قوله تعالى : (**وَمَنْ كَانَ فَقِيراً فَلْيَأْكُلْ بِالمَعْرُوفِ**) .

٥ — وجوب الإشهاد عند دفع الأموال إليهم قال تعالى : «**فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ**» وهو يتناول الإشهاد عند تسليمهم أموالهم، والإشهاد عند رد المقترض منها، والإشهاد على ما أنفق عليهم، ومعنى الإشهاد أن يتم ذلك أمام شهود ، ويقتضي ذلك أن يسجل الأوصياء كل ما أنفقوا عليهم في سجلات خاصة مع الاحتفاظ بالوثائق والحسابات وسائر المستندات التي تثبت الوارد والمنصرف ، والحكمة من ذلك اثبات البراءة ودفع التهمة وإقامة البينة إذا حدث خلاف .

٦ — رقابة الله : وكما أن الوصي مسؤول أمام الله عن أموال اليتامى، فهو مسؤول كذلك عن دينهم وأخلاقهم وسلوكهم ، فعليه أن يؤدبهم كما يؤدب أبناءه، حتى يصح دينهم وتستقيم أخلاقهم ، وعليه أن يدربهم على تدبير شؤونهم والاستقلال بها، من أجل ذلك يوقظ الله عز وجل الضمير في نفوس الأوصياء حتى يكونوا على حذر ، فيذكرهم بأن الله شهيد عليهم وحسيب فيقول : (**وَكَفَى بِاللهِ حَسِيباً**) .

المناقشة

١ — تضمنت هذه الآيات أحكاماً تتعلق بالسفهاء ، واليتامى ، اذكر كلا منها إجمالا .

٢ — لماذا نهى الله عن اعطاء السفهاء أموالهم ، وما دليل ذلك ؟ وما حكمة استمرار الوصاية ؟

٣ — ما هي النفقة الواجبة للسفهاء ؟ واليتامى ؟ وماذا يجب على الأوصياء نحوهم ؟ وما دليل ذلك ؟

٤ — متى يجب تسليم الأموال إلى اليتامى ؟ وما حكمة ذلك ؟ وما دليله ؟

٥ — ما العفة المطلوبة ؟ وبم تتحقق ؟ ولمن من الأوصياء يجوز الأكل من مال اليتيم؟ وما قدر الأكل المباح ؟

٦ — ما معنى الإشهاد ؟ وما حكمه ؟ وما دليله ؟ وما حكمته ؟

١٣ـ من سورة النساء « ٥ »

لِّلرِّجَالِ
نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ
مِّمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ ۚ
نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ
وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا
مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً
ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ
فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾

معاني المفردات

الكلمة	معنـــاها
مفروضاً	حقاً مقدراً لا بد من أخذه .
وليخش	الخشية : الخوف مع تعظيم المخوف منه والأمل فيه ، والمراد فليخافوا الله .
سديداً	صائباً محكماً موافقاً للدين .
ظلماً	بغير حق .
سيصلون	سيحرقون .
سعيراً	النار المستعرة في جهنم .

المقاصد

تضمنت هذه الآيات أحكاماً ومقاصد نجملها فيما يلي :

أولا : تقرير حق الميراث للرجال والنساء بعد أن كانت الجاهلية تحرم النساء من الميراث .

ثانياً : تقرير حق لغير الوارثين من ذوي القربى واليتامى والمساكين إذا حضروا القسمة .

ثالثاً : التحذير من أكل أموال اليتامى ، واستعطاف القلوب عليهم .

رابعاً : الوعيد الشديد لمن تمتد يده إلى أموال اليتامى بسوء .

الشرح

سبب نزول الآية الأولى : أن أوس بن ثابت الأنصاري مات عن زوجة وثلاث بنات فمنع ابنا عمه ميراثهم، فشكت امرأة أوس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فدعاهما فقال يا رسول الله ولدها لا يركب فرساً ولا يحمل كلا ولا ينكأ عدواً، نكسب عليها ولا تكسب فنزلت الآية، وأثبت الله لهن حق الميراث ، ثم نزلت آيات المواريث فجعلت لكل نصيباً مفروضاً .

قال تعالى : **(لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ)** فأثبت أمرين :

(١) حق الميراث لكل وارث (٢) توريث النساء والصغار

١ — هذا هو المبدأ العام الذي أقره الإسلام، ليثبت به حقوق النساء والصغار ، وكانت الجاهلية تحرمهم من الميراث بحجة أنهم لا يشتركون في الحروب، فلما جاء الاسلام رفع الظلم عنهم وأثبت لكل حقا في الميراث ، صغيرهم وكبيرهم : فأثبت للذكور نصيباً صغاراً كانوا أو كباراً وللنساء نصيباً كذلك . فيجب اعطاء النساء حقوقهن المفروضة في كتاب الله . وإذا كان بعض الورثة صغاراً وجب أن تحفظ أنصبتهم حتى يكبروا وتسلم إليهم .

٢ — تقرير حق للأقارب غير الوارثين ، ولليتامى والمساكين إذا حضروا القسمة، قال تعالى: **(وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ)** أي إذا حضر بعض أقارب الميت من غير الوارثين، عند تقسيم التركة، وجب إعطاؤهم شيئاً تطيب به نفوسهم فإنه يعز عليهم أن يقسم مال قريبهم أمام

أعينهم وهم محرومون منه، وبهذا تبقى المودة توصل الرحم التي بينهم وبين المتوفى ، وهذا النص الكريم يثبت لليتامى والمساكين مثل هذا الحق تطييباً لنفوسهم وتحقيقاً لمبدأ التكافل الاجتماعي بين المسلمين . وما يعطى لهؤلاء غير مقدر ومحدد وإنما ترك تقديره للوارثين قدر ما تسمح به نفوسهم من المال أو بعض من الثياب أو المتاع فذلك يشرح صدورهم ويذهب الحرج عنهم .

٣ — التحذير من أكل أموال اليتامى، واستعطاف القلوب عليهم، قال تعالى : «**وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ**» فيحذر الله من أكل أموال اليتامى تأكيداً لما سبق، لكنه في هذه المرة يرهف الأحاسيس والمشاعر ويستدر عطف القلوب وإشفاقها، حيث يذكر الأوصياء بأبنائهم وذراريهم وما قد يتعرضون له بعدهم، فربما وكل أمرهم إلى أوصياء لا يعرفون الرحمة ولا يتقون الله، فكما يحب الأوصياء لأبنائهم الخير والرحمة والمعاملة الطيبة يجب عليهم أن يتقوا الله في اليتامى، فيحفظوا لهم أموالهم ويقضوا حوائجهم ويحسنوا أدبهم ويقوموا برعايتهم ويعوضوهم عن العطف الأبوي والحنان الذي حرموا منه فاذا اتقوا الله فيهم خلفهم في ذراريهم ، وهيأ لصغارهم من يتولى أمرهم من بعدهم ويتقي الله فيهم فان الجزاء من جنس العمل . ثم يؤكد الله تعالى أمرهم بالتقوى وحسن الرعاية فيقول : **(فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً)** ويوصيهم أثناء تربيتهم ورعايتهم أن يقولوا لهم قولا سديدا ، يوجههم الى الصواب ويرشدهم إلى الخير ، ويرسم لهم الطريق للحياة الحرة الكريمة .

٤ — الوعيد الشديد لمن تمتد يده إلى أموال اليتامى بسوء . قال تعالى : **(إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرا)** .

وضع الله عز وجل فيما سبق القواعد لحماية أموال اليتامى وصيانتها، وأوجب حفظها وحرم أكلها، وفي هذه الآية يتشدد في التحذير من ذلك، ويصور الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً بأنهم إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا ، وهو تصوير مفزع ، تروع منه النفس ويقشعر البدن وتهتز المشاعر والضمائر، فتتحاشى هذه الأموال وقربانها كما فعل الصحابة حين نزلت هذه الآية :

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما نزلت « **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً** » انطلق من كان عنده يتيم فعزل طعامه من طعامه وشرابه من شرابه فجعل يفضل الشيء فيحبس له حتى يأكله أو يفسد فاشتد ذلك عليهم . فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله .

« **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللهُ لأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** »(١) فخلطوا طعامهم بطعامهم وشرابهم بشرابهم .

المناقشة

١ — اشتملت هذه الآيات على أحكام اذكرها اجمالا .

٢ — ما سبب نزول قوله تعالى : « للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب»؟. (أنصف الإسلام المرأة) . اشرح هذه القضية في ضوء ما قرر لها في الآية من حق .

(١) الآية رقم ٢٢٠ من سورة البقرة .

٣ ــ تقرر الآية الثانية حقاً لغير الوارثين من أقارب الميت ، ولليتامى والمساكين . فما حقهم وما الحكمة من ذلك ؟

٤ ــ أوجب الله عز وجل على الأوصياء معاملة اليتامى كأبنائهم . وضح ذلك بالدليل

٥ ــ حرم الله أكل أموال اليتامى وتوعد آكليها ، وضح ذلك مصوراً أثر الآية الكريمة في النفوس .

٦ ــ كيف تأثر الصحابة رضوان الله عليهم بقوله تعالى : « إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً » وما الآية الكريمة التي نزلت بسبب ذلك ؟

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ
بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ
وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن
تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا ﴿١٩﴾ وَإِنۡ أَرَدتُّمُ
ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا
فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـًٔاۚ أَتَأۡخُذُونَهُۥ بُهۡتَٰنٗا وَإِثۡمٗا مُّبِينٗا ﴿٢٠﴾
وَكَيۡفَ تَأۡخُذُونَهُۥ وَقَدۡ أَفۡضَىٰ بَعۡضُكُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ وَأَخَذۡنَ
مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴿٢١﴾

معاني المفردات

الكلمة	معنـــاها
تعضلوهن	العضل : الشدة والتضييق والحبس ، والمراد لا تمنعوهن من الزواج بغيركم .
لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن	لتستردوا بعض ما أعطيتموهن من المهر .
بفاحشة مبينة	فعلة قبيحة ظاهرة ، والمراد بذنب عظيم ظاهر ، من زنى أو نشوز وسوء عشرة .
المعروف	ما يرضاه الشرع ويقره .
قنطاراً	مالا كثيراً .
بهتاناً عظيماً	ظلماً أو كذباً .
أفضى بعضكم إلى بعض	وصل وصولا خاصاً ، وهو ما يكون بين الزوجين .
ميثاقاً غليظاً	عهداً مؤكداً ربطه برباط قوي محكم وهو أمر الله بإمساكهن بمعروف أو تسريحهن بإحسان .

المقاصد

اشتملت هذه الآيات على أحكام خاصة بحماية النساء وكرامتهن وحفظ أموالهن وحقوقهن أهمها :

أولا : تحريم المرأة وتحريم وراثتها ، وقد كانت تورث كالمتاع والرقيق في الجاهلية.

ثانياً : تحريم التجني والتضييق على المرأة . وتحريم أخذ شيء مما دفع إليها إلا إذا أتت بفاحشة مبيّنة .

ثالثاً : وجوب معاشرة الزوجة بالمعروف حتى في حالة الكراهية ،والترغيب في ذلك وجواز أخذ شيء من مالها إذا كان النشوز منها ومخالعتها به .

رابعاً : تحريم أخذ شيء من صداق المرأة إذا حدث انفصال بغير سبب منهاأونشوز

الشرح

١ — تحريم وراثة المرأة — كان العرب في الجاهلية يعدون المرأة منقبيل المتاع ، وكانوا إذا مات أحدهم فأولياؤه أحق بامرأته ،فمن سبق إليها فألقى ثوبه عليها فهو أحق بها ،يرثها كما يرث الرقيق ،فإن شاء تزوجها بدون مهر ، وإن شاء زوجها وأخذ مهرها ،وإن شاء أمسكها دون تزوج حتى تفتدي نفسها بشيء من المال .

وإذا استطاعت أن تهرب ،إلى بيت أهلها قبل أن يدركها أحد أقاربه ،فيلقي عليها ثوبه فقد نجت ، وحمت نفسها منه .

ولقد حرم الإسلام هذا كله ،وأنزل هذه الآية الكريمة **(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهاً)** فارتفع بها إلى مستوى الإنسانية والآدمية وحفظ لها حريتها وكرامتها وحقها الطبيعي في الحياة .

٢ — تحريم التضييق على المرأة إلاإذا أتت بفاحشة مبينة قال تعالى: **«وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ »**

كان الرجل في الجاهلية يمسك زوجته مع كرهه لها حتى تموت فيرثها ، وكان بعضهم إذا تزوج إمرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة حتى تفتدي نفسها بمالها وتختلع منه ، ولما كان هذا تجنياً وبغياً واستغلالا سيئاً للمرأة وهدراً لكرامتها وظلماً لها نهى الله عن ذلك وحرمه .

فكما حرم اغتصاب المرأة قسراً وأخذها على سبيل الإرث وحرم الزواج بها وهي كارهة وحرم تزويجها مكرهة حرم هنا محاولة احتكارها ومضارتها والتضييق عليها وامساكها دون رغبة في معاشرتها حتى تفتدي نفسها بما أخذته من المهر ، وقد استثنى الله عز وجل حالة واحدة تجمع قوانين العقلاء على استثنائها هي حالة ما إذا أتت بفاحشة مبينة فحينئذ يجوز للزوج قبول الخلع لكي يستعيض به عما دفعه من المهر ، وقد اشترط الله أن تكون الفاحشة مبينة أي فاضحة أو ظاهرة من زنى أو نشوز أو سوء عشرة ، ولا يكفي مجرد الظن فإن بعض الظن إثم . فهنا يسوغ للرجل أن يأخذ ما دفع إليها لأنها هي السبب في ذلك .

٣ — وجوب العشرة بالمعروف حتى في حالة الكراهية : جعل الله المعاشرة بالمعروف فريضة على الرجال فقال : **(وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ)** فهو يوجب حسن المعاملة والمعاشرة بالمعروف الذي يوصي به الشرع ويقره العقل ، فلا تضييق في أمور المعيشة ولا تقتير في النفقة ، مع الملاطفة وإدخال أسباب السرور والهدوء .

ولقد فرض الإسلام المعاشرة بالمعروف حتى في حالة الكراهية التي قد تنشأ لأمر ما ، وهي تقتضي أن يلتزم الزوج العدل وألا ينسى الفضل ، وأن يحكّم عقله ويتهم هواه ، فقد تكون أفضل من غيرها ، وقد تكون ربة البيت المدبرة الحكيمة التي تعينه في السراء والضراء ، وقد يكون في زواجه من غيرها

شقاء وبلاء ، فلذلك ذكّره الله عز وجل بهذه الحقيقة، بعدما أوجب عليه المعاشرة بالمعروف فقال : (**فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً**) . .

٤ — تحريم أخذ شيء من صداق المرأة إذا لم تكن سبباً هي في الانفصال وقرر الزوج أن يتخذ زوجة أخرى مكان زوجه وصمم على طلاقها ، أو طلقها لأن النشوز هنا والإعراض منه هو، فلا يجوز له أخذ شيء مما كان أعطاها ولو كان قنطاراً من ذهب فإنه حرام قال تعالى : (**وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً**) ثم أكد الله النهي والتحريم وبين العلة فيه بقوله : (**وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ**) ، فقد أفضى كل منهما إلى الآخر في كل همسة ولمسة حتى في العواطف والمشاعر والأحاسيس والآراء والهموم .

ولعل التعبير بلفظ أفضى يسترق قلب الزوج ويرهف إحساسه فيخجل أن يطلب شيئاً مما دفع وقد مر في خياله ما كان بينهما من معاشرة وإفضاء . ثمت علة أخرى غير الإفضاء لتحريم الطمع في مال المرأة وهي الميثاق ، ميثاق النكاح باسم الله وعلى شريعته التي وثقته على إمساك بمعروف أو تسريح باحسان فهو ميثاق غليظ وعقد موثق بين الرجل والمرأة الله شهيد عليه وحسيب فمن ثم خصّ الله به الآية الكريمة فقال : (**وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً**) تذكيراً بحرمته وأن الله طالبه وصاحبه (**إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولا**) وفي ذلك ما ينبه الضمائر ويقي من سوء المصير .

المناقشة

١ ــ ما الأحكام التي اشتملت عليها هذه الآيات ؟

٢ ــ كرم الاسلام المرأة وحماها مما كانت تعانيه في الجاهلية من ذل وهوان فوضح ذلك في الآيات .

٣ ــ ما معنى العضل ؟ وما سبب تحريمه ؟ اذكر أنواعاً من العضل الذي كانت المرأة تلقاه في الجاهلية .

٤ ــ متى يجوز للزوج قبول الخلع ؟ وما شروط الفاحشة التي تجيز التضييق على المرأة؟

٥ ــ ما المراد بقوله تعالى : (وعاشروهن بالمعروف) ؟ وما حكمة هذا الأمرالكريم ؟

٦ ــ حرم الله على الزوج أخذ شيء من صداق زوجته إذا طلقها . فلماذا ؟ وما دليل التحريم ؟

٧ ــ جاءت الآية الكريمة بعلتين لتحريم أخذ شيء من المهر . فما هما ؟ وضح ذلك.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
تقديم	٣
مقدمة	٧
١ — من سورة البقرة « أ »	٩
٢ — من سورة البقرة « ب »	١٩
٣ — من سورة البقرة « حـ »	٢٦
٤ — من سورة البقرة « د »	٣٧
٥ — من سورة آل عمران « أ »	٤٩
٦ — من سورة آل عمران « ب »	٥٧
٧ — من سورة آل عمران « جـ »	٦٣
٨ — من سورة آل عمران « د »	٧٠
٩ — من سورة النساء « أ »	٧٦
١٠ — من سورة النساء « ب »	٨١
١١ — من سورة النساء « حـ »	٨٤
١٢ — من سورة النساء « د »	٩٢
١٣ — من سورة النساء « هـ »	٩٩
١٤ — من سورة النساء « و »	١٠٥

تم بعونه تعالى طبع هذا الكتاب

في